

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة -

المرجع:.....

معهد الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

الفصاحة والبلاغة

عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه

دلائل الإعجاز

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة و الأدب العربي

تخصص: لغة عربية

تحت إشراف :

سليم مزهود

إعداد الطالبتين :

فيروز عولميت

شامة قريقة

السنة الجامعية: 2014 / 2015



شكر وعرفان

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى اله وصحبه ومن والاه
الى يوم الدين.

نحمده حمدا كبيرا ونشكره شكرا كثيرا على توفيقه لنا وتقديرنا على
إتمام هذا العمل المتواضع ونرجو حسن الختام والجزاء.

الحمد لله حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.
قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الوافر والوفير إلى الأستاذ المشرف
"سليم مزهود"

مع إمتناننا الجزيل لمد يد العون لنا ولم يبخل علينا بالنصح والإرشاد خلال
مدة إنجاز هذه المذكرة بصبره وعلمه

ألفه شكر

والشكر لكل من قدموا لنا النصيحة وأعانونا ولو بكلمة طيبة أو بابتسامة.

إهداء

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتتحقق الأمنيات والمقاصد والغايات
والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وقائدنا محمد صلى الله عليه وسلم
إلى من كلفه الله بالهبة والوقار، إلى من أحمل إسمه بافتخار والدي العزيز "عولميت محمد" إلى
صاحبة القلب الحنون ورمز الطيبة، أُمِّي
إلى شريك حياتي وتوأم روحي زوجي الغالي "حمزة طويل" مع جزيل الشكر والعرفان على
المساعدة وأدام الله المودة بيننا
إلى أخي الغالي "فريد" وزوجته العزيزة "زهرة" والكتكوتة "أمينة"
إلى أخواتي: "بسمة" "ياقوتة" "ابتسام" وأولادها "نور" وخاصة الغالي "رائد"
إلى نواردة البيت: "مروة"
كما لا أنسى "حنان" وأولادها "سندس" و"مرام" و"ياسر"
وخالي "بوجمعة" وزوجته "مريم"
إلى عائلتي الثانية عائلة "طويل" خاصة "نوال" و"نبهة"
إلى صديقاتي خاصة شيما، كما لا أنسى من وقف معي في أشد الصعاب

فيروز

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك و لا يطيب النهار إلا بطاعتك و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك، و لا تطيب
الآخرة إلا بذكرك، و لا تطيب الجنة إلا برويتك "الله جل جلاله"

إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأمة، نبى الرحمة و نور العالمين "سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم"
إلى من قال فيهما الرحمان "و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا" إلى جناحي و محزي و فخري
إلى السراج الذي أثار دربي و كافح و تحمل المشاق من أجلي و إلى من أسقاني من رحيق الدنيا حكما،
و من سعادة الآخرة علما و صبرا و إلى من كان قدوة لي في الحياة و رجلا حكيما في الزلات، و مشجعا
يبعثني الأمل، إلى من أحمل إسمه بكل إختيار "أبي العزيز" أطال الله في عمره.

إلى الشمس الساطعة التي تستطيء لها أقطاب الأرض الأربع، إلى ملاكي في الحياة ، إلى معني الحب، إلى
نبع العنان و العطاء، إلى بسمه الحياة و سر الوجود، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي، و حنانها بلسم جراحي ،
إلى أجلي العبايب "أمي العبيبة" أطال الله في عمرها

إلى من بوجودهم أكتسب القوة و المحبة إلى شموع السعادة المضيئة حولي

إخوتي: منى و زوجها الدراجي، عائشة ، محمد ، و البراءة رمز السعادة في الحياة نور

إلى كل العائلة من أعمام و عمات و أخوال و خالات، و أولادهم كل باسمه، كما أخص بالذكر خالتي "سارة"

إلى كل صديقتي، و إلى رفيقتي في هذا العمل "فيروز"

إلى من لم يبخل علينا بغزير علمه و ثاقبه بصيرته و صادق نصحه و توجيهه، فلنا منه كل الفضل و له منا عظم
الشكر و التقدير

أستاذي الكريم "مزهود سليم"

شام

مقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على الرسول محمد المبعوث رحمة للعالمين بلسان عربي مبين، أفصح العرب لسانا و أوضحهم بيانا و أشدهم تأثيرا .

من الجميل أن يجد الإنسان نفسه طالبا للعلم، و الأجل أن يكون دارسا للغة الضاد لغة القرآن الكريم، باحثا في أسرارها كاشفا لأغازها.

اللغة العربية التي لطالما كانت مبلغ الفقهاء و مطلب العلماء و الفلاسفة فلم يتركوا لا شاردة و لا واردة إلا وكتبوا فيها ما جاءت به اناملهم من كتب ومؤلفات، تعتبر الذخيرة اللغوية التي نتشرف بها ونعتبرها مرجعا لكل دراستنا .

تعد البلاغة العربية من أدق العلوم وأرفعها مكانا، وأعلاها شانا، ولعظم أهميتها نالت حظا وافرا من الدراسات.

ولقد تنبه اللغويون الأوائل إلى أن العربية الفصحى تنبع من ثلاثة مصادر رئيسية هي القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم و الشعر العربي الجاهلي، وكان هدفهم هو حراسة لغة القرآن، إذ نجد أن الحديث عن الفصاحة والبلاغة يتمحور حول بلاغة القرآن وإعجازه في عدد من المؤلفات مثل: كتاب "إعجاز القرآن" للبقلائي (ت471هـ).

وسبب إختيارنا لموضوعنا والموسوم بـ"الفصاحة والبلاغة عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز" هو حب المعرفة والإطلاع على هذا المبحث الذي تناوله علماء أجلاء

من علماء العربية باختلاف عصورهم، فما المقصود بالفصاحة والبلاغة؟ وكيف كانت نظرة العلماء لها؟ وماهي أنواعها؟ وفيما تتمثل نظرة عبد القادر الجرجاني لكل من الفصاحة والبلاغة؟، وقد اعتمدنا منهاجاً يتناسب مع هذا النوع من الدراسات هو المنهج الوصفي التحليلي مستنديين في ذلك على المنهج التاريخي في رصد نظرة العلماء للفصاحة والبلاغة وكذلك رصد حياة عبد القاهر الجرجاني أما بنية البحث فتشكلت من فصلين وخاتمة تتصدرهما مقدمة وتمهيد حيث تحدثنا في التمهيد عن الفرق بين الفصاحة والبلاغة أما الفصل الأول والموسوم "بمفاهيم أساسية في الفصاحة" فقد تناولنا فيه الفصاحة والبلاغة لغة واصطلاحاً، ثم انتقلنا إلى أنواعها . ثم الفصل الثاني المعنون بـ "الفصاحة والبلاغة عند عبد القاهر الجرجاني، أولاً: عرّفنا بعبد القاهر الجرجاني من خلال (ترجمة حياته، ثقافته وعلمه ومؤلفاته وأثاره، أقوال العلماء فيه).

ثانياً: عرّفنا بكتابه "دلائل الإعجاز" من خلال (سبب التسمية، السبب في التأليف والهدف منه ومباحثه، منهجيته).

ثالثاً: تناولنا الفصاحة والبلاغة كما يراها عبد القاهر الجرجاني، وأنهيينا البحث بخاتمة تضمنت مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها، وقد اعتمدنا في هذا الموضوع عدة مصادر ومراجع تنوعت بين القديم والحديث أهمها "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني و"جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع" لأحمد الهاشمي و"الإيضاح في علوم البلاغة" للخطيب

القزويني، إضافة إلى مصادر ومراجع أخرى التي أثرت بحثنا، ومن طبيعة الأمور إن كل بحث لا يخلو من الصعوبات، وهي في مجملها لا تخرج عن تلك التي يمكن أن يلقاها أي باحث، وتتمثل في صعوبة تحليل بعض المواد في الكتب التراثية ودراستها، إضافة إلى كثرة الآراء حول هذا الموضوع حيث تعذر الإلمام بها كلها.

وفي الأخير لا نزعم اننا بلغنا الكمال في هذا البحث، كما نتقدم بالشكر الجزيل الى الاستاذ المشرف الذي أمد يد العون بتوجيهاته السديدة وأفكاره الصائبة التي أسهمت في إنجاز هذه المذكرة.

مداخل

البلاغة من أشرف علوم اللغة العربية ،فهى العلم الذى يعنى بتجويد الكلام اهتم القدماء وحتى المحدثين فى دراستها و بيان حيثياتها فتعددت تعريفاتها واختلفت فيعرفها القرويني قائلا: «البلاغة فى الكلام لمطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته»¹ من خلال هذا التعريف يتبين أن البلاغة تشترط الفصاحة رغم أنه كثيرا ما تلتبس البلاغة بالفصاحة ، حتى يظن الزان أنهما وجهان لعملة واحدة ،كما يصرح "فخر الدين الرازى"فيها أن «أكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة، بل يستعملونها استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحدة فى تسوية الحكم بينهما»²

«وقد كانت مصطلحات (البلاغة) (الفصاحة) (البراعة) (البيان) بمعنى واحد عند عبد القاهر الجرجاني»³

يرى عبد القاهر الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظا مترادفة ويطلق عليها اسم النّظم، وينفى وصف المفردة بها ويرأها صفة للكلام بعد طلب وتحري معاني النّحو فيما بين الكلم حسب الأغراض التى يصاغ لها، حيث بحث هذه المسألة تحت عنوان: «فى تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة»⁴

¹ فضل حسن عباس:البلاغة فنونها وافنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع،الاردن، ط1997،4م،ص86:85

² السيوطي: المزهى فى علوم اللغة انواعها، ج1، ط1، ص7

³ بن عيسى باطاهر: البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحد، ط1، بنغازي، ليبيا، 2008، ص27

⁴ عبد القاهر الجرجاني:دلائل الاعجاز، تح محمد رضوان الداية و فايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص47

ويقول في هذا المقام «وهل يقع في وهم، وإن جَهْدَ، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم»¹

فعبد القاهر هنا لا يحكم على أية لفظة بحكم معين وهي خارج السياق، ولا يرى لها أية ميزة أو فضل، ولا يفاضل بين لفظة وأخرى في حال انفراد كل منهما عن الأخرى، «فلا نظم بين الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك»²

«لم يفرق عبد القاهر بين المصطلحين فتراه يستعمل الفصاحة مرادفة البلاغة في مواطن كثيرة و الفصاحة و البلاغة و البراعة و البيان مما يعبر بها عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا و تكلموا و أخبروا السامعين عن الأغراض و المقاصد، و راموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، و يكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم»³

و قال: « لا يجوز الاستدلال من وصف اللفظ بالفصاحة دون المعنى إلى أن المزية

فيه»⁴

¹ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص 47

² نفسه: ص 53

³ حاتم صالح الضامن: نظرية النظم تاريخ وتطور الموسوعة الصغيرة، 1 ايلول 1979، ص 36

⁴ نفسه: ص 39

و معنى هذا أن الفصاحة في الألفاظ و البلاغة للمعاني، و ما دام الأمر كذلك فقصر الفصاحة على اللفظ دون البلاغة لا يدل على أن المزية فيه بل يصح أن بالبلاغة أيضا و قال: « الفصاحة في ترتيب الألفاظ حسب المعاني. »⁵ وهذا ينطبق على البلاغة حسب رأيه، فهو يرى أن موضع الفصاحة هو التلاؤم بين الحروف والتلاؤم بين الكلمات في النطق.

وقال: « إذا قصرنا الفصاحة على هذه الصفة لزمنا أن نخرج الفصاحة من حيز البلاغة، ومن أن تكون نظيرة لها، و إذا فعلنا فإما أن تكون العمدة في المفاضلة بين عبارتين و هذا شفيع للجور على المعاني، لأن ذلك لا يتعلق بتلاؤم الحروف، إذا أخذنا بالثاني و هو أن تكون وجها من وجوه التفاضل في العبارة لا يضرنا ذلك و تكون أخرجنا الفصاحة عن حيز البلاغة ، و أن تكون نظيرة لها من حيث دلالة المعنى ، أو أن نجعلها اسما مشتركا يدل به تارة على ما يدل بالبلاغة، و تارة إلى سلامة اللفظ مما يتقل على اللسان، وليس واحد من الأمرين بقادح فيما نحن بصددده. »¹

¹ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 50

نخلص من هذا على أن لفظتي البلاغة و الفصاحة لم تتخصصا حتى عهد عبد القاهر بمعنيها الإصطلاحيين لذا نراه يستعملها مترادفتين . و البلاغة و الفصاحة عند عبد القاهر لا ترجعان إلى اللفظ و إنما إلى النظم و كفيات الصياغة و صورها و خصائصها.

فالبلاغة في الاصطلاح تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال لذلك هي تتعلق بالكلام وليس بالكلمة المفردة بخلاف الفصاحة التي تعنى باللفظة المفردة لذلك من الممكن ان نقول كلمة فصيحة ولكن من الخطأ القول كلمة بليغة لان الكلمة المفردة لاتعني المطابقة لمقتضى الحال لانها لا تعطي معنى يفيد السكوت عليه لذلك نقول كلمة فصيحة وكلام بليغ وقد تاتي كلمة فصاحة بمعنى النطق السليم ف يقال لسان فصيح ورجل فصيح.

وبهذا يظهر أن الفصاحة تعتني باللفظ ولذاته في السمع، وقبوله من قبل الذوق، وهذا هو الأصل وإن كانت بعض العيوب تعود إلى المعنى كما هو حال عيوب الكلام، وهناك يأتي دور البلاغة، والفرق بينهما أن الفصاحة تطلق على كل من الكلام والكلمة المفردة، أما البلاغة فلا تطلق إلا على الكلام، ولا توصف بها الكلمة المفردة، فيقال: كلمة فصيحة، وكلام فصيح، ويقال: كلام بليغ ولا يقال عن كلمة مفردة: هذه كلمة بليغة، وإنما يقال ذلك إذا أريد بالكلمة الكلام.

كل بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغ :

إذ لا بد أن يستوفي الكلام شرطين كي يكون بليغاً، الأول أن يكون فصيحاً. والثاني أن يكون مطابقاً لمقتضى الحال فالفصاحة معناها خلو الكلام من الغرابة، والتعقيد والغموض، وسوء التأليف لا حوشياً ولا مبتذلاً مطابقاً للقواعد اللغوية في النحو والصرف والصوت ومن الكلام غير الفصيح مستشزرات إذ الحروف غير مؤتلفة لقرب مخارجها وكذلك قول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبرا

فهذان المثالان ليسا من الكلام الفصيح وبذلك يخرج من الكلام البليغ. بذلك نخلص إلى أن الكلام البليغ لا بد أن يكون فصيحاً ولكننا قد نجد كلاماً فصيحاً لكنه غير بليغ لاختلال الشرط الآخر وهو مطابقة الكلام لمقتضى الحال الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى . والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى في القلب فكأنها مقصورة على المعنى ، ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ . والبلاغة تتناول المعنى أن الببغاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً إذ هو مقيم الحروف وليس لها قصد إلى المعنى الذي - يؤديه - و قد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره.

الفصل الأول مفاهيم أساسية في الفصاحة والبلاغة

أولاً : الفصاحة

أ- لغة

الفصاحة في لسان العرب من الفعل فصَح، قال ابن منظور: «الفَصَاحَةُ: الْبَيَانُ فَصَحَ فَصَاحَةً، فَهُوَ فَصِيحٌ مِنْ قَوْمٍ فَصَحَاءَ وَفِصَاحٍ وَفُصِّحَ... وَفَصَّحَ الْأَعْجَمِيُّ بِالضَّمِّ، فَصَاحَةً تَكَلَّمَ وَفُهِمَ عَنْهُ، وَقِيلَ: جَادَتْ لُغَتُهُ حَتَّى لَا يَلْحَنَ...، يُقَالُ: مَا كَانَ فَصِيحًا وَلَقَدْ فَصَّحَ فَصَاحَةً وَهُوَ الْبَيِّنُ فِي اللِّسَانِ وَالْبَلَاغَةِ...، وَفَصَّحَ اللَّبَنُ إِذَا أُخِذَتْ عَنْهُ الرَّغْوَةُ، وَأَفْصَحَتِ الشَّاةُ وَالنَّاقَةُ إِذَا انْقَطَعَ لَبْوُهَا، وَأَفْصَحَ الصُّبْحُ: بَدَأَ ضَوْؤُهُ وَاسْتَبَانَ، فَقَدْ أَفْصَحَ، وَكُلُّ وَاضِحٍ مُفْصِحٌ»¹

وفي القاموس المحيط: «الْفَصْحُ وَ الْفَصَاحَةُ: الْبَيَانُ، فَصَّحَ كَكَرَّمْ، فَهُوَ فَصِيحٌ وَفَصَّحَ مِنْ فُصَحَاءَ وَفِصَاحٍ وَفُصِّحَ، وَ هِيَ فَصِيحَةٌ مِنْ فِصَاحٍ وَ فَصَائِحَ، أَوْ اللَّفْظُ الْفَصِيحُ: مَا يُدْرِكُ حُسْنُهُ بِالسَّمْعِ، وَفَصَّحَ الْأَعْجَمِيُّ، كَكَرَّمْ: تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَفُهِمَ عَنْهُ أَوْ كَانَ عَرَبِيًّا فَازْدَادَ فَصَاحَةً، وَأَفْصَحَ تَكَلَّمَ بِالْفَصَاحَةِ»².

¹ ابن منظور: لسان العرب، ضبط وتحقيق: خالد رشيد القاضي، دار الصبح وإيديسوفت، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ -

2006م، ج.10، ص 257.

² الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي،

بيروت، لبنان، ط8، ص 234.

أما في التنزيل فقد وردت "الفصاحة" في قوله تعالى -حكاية عن نبيه موسى عليه السلام-: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: 34].

وفي الحديث النبوي الشريف، قوله صلى الله عليه وسلم: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش». لفظه "الفصاحة" في كتاب الله وحديث الرسول العظيم لا تخرج عن معناها اللغوي وهو الظهور والبيان.

والمعنى اللغوي الذي يستفاد من تلك المعاني هو البيان والظهور الذي هو ضد اللبس والغموض.

ب - اصطلاحا

إنّ لفظ "الفصاحة" قديم قدم الإنسان العربي، فهذا الأخير منذ ظهوره التصقت به صفة الفصاحة التي وبالرغم من أنها أول المصطلحات البلاغية ظهورا إلا أنها تعتبر من آخرها استقرارا وثباتا، وسبب ذلك اختلاف مفهوم الفصاحة بين الأوائل، فقد مرّت كلم "الفصاحة" بعدد من المراحل حتّى استقرّت.

على معناها الاصطلاحي، الذي بدأ يتشكّل عند ابن سنان الخفّاجي وهي تعني عند الأوائل: «خصوصية تدلّ على جودة الكلام ومدارها على مدى الإبانة، والبعد عن العجمة والتمكّن من

استعمال اللغة، ونجاح الأديب أو إخفاقه يتوقف على مدى توافر هذه الخصوصية في نتاجه الأدبي»¹.

والجاحظ لم يخرج في تعريفه للفصاحة على القدماء، فهو لم يعط "الفصاحة" معنى اصطلاحى محدد، وقد استعملها في مواضع كثيرة، نذكر منها قوله: «ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة، رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه»²، وقوله عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى ولا أبين فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم»³. فالفصاحة عنده تكون وصفا لمخارج الحروف وتكون وصفا للمعنى كما تكون وصفا للبيان وكلها داخل في معنى الإبانة والخلوص. ولقد حددت الدلالة الاصطلاحية لكلمة "الفصاحة" إلا مع بداية الفصل التام بين اللفظ والمعنى، الذي يبرز في ميدان الدراسات البيانية، عندما ظهر المتكلمون، واشتد النزاع حول حقيقة الإعجاز.

¹ حامد صالح خلف الربيعي: مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، مكتبة الملك فهد الوطنية السعودية، 1416هـ-1996م ص 464.

² الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، ص 292.

³ نفسه: ص 110.

ومن ذلك الحين «سار المصطلح "الفصاحة" في اتجاهين مختلفين، أحدهما عند أنصار اللفظ، يستعملونه في ما يتعلق بالألفاظ، والآخر: عند أنصار المعنى، وأنصار اللفظ والمعنى معا، حيث يتجهون به إلى النظم»¹.

وخير من يمثل الاتجاه الأول أبو هلال العسكري وابن سنان الخفاجي فهما يميزان بين الفصاحة والبلاغة، ويجعلان لكل منهما مدارا خاصا، فالصاحة للفظ والبلاغة للمعنى فيقول العسكري في تعريف للبلاغة عن الفصاحة في مقدمته: «وقد علمنا أنّ الإنسان إذا عقل علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب، وغنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه وقصورهم عن بلاغ غايتهم في حسنه وبراعته وسلاسته ونصاعته، وكمال معانيه، وصفاء ألفاظه»².

فأبو هلال يفرق بين "البلاغة" و"الفصاحة" فيردّ حسن التأليف إلى "البلاغة" ويردّ براعة التركيب إلى "الفصاحة"، ويبدو لنا أنه يردّ إعجاز القرآن إلى حسن تأليف الألفاظ وبراعة تركيبها، فهو من أنصار القائلين بأن إعجاز القرآن يكمن في لفظه بالمقابل هناك من يردون "إعجاز القرآن" إلى عجز العرب عن الإتيان بمثله.

¹ حامد صالح خلف الربيعي: مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، ص 466.

² أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط2 (دت)، ص 9، 10.

ثم بعد ذلك وقع في التناقض بإرجاعه "الفصاحة" و"البلاغة" إلى معنى واحد بقوله: «الفصاحة والبلاغ ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى وإظهاره له.»¹

إلا أنه بعد ذلك تدارك ذلك مبينا أوجه الاختلاف، جاعلا، لكل ميدانه ويظهر ذلك من خلال قوله: «قال بعض علمائنا: الفصاحة تمام آلة البيان، فلهذا لا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان، والدليل على ذلك أن الألتغ والتمتام فصحين لنقصان آلتها عن إقامة الحروف...، فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان، فهي مقصورة على اللفظ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى على القلب فكأنها مقصورة على المعنى.»²

فالفصاحة عنده بالألفاظ وخصائصها النوعي التي تؤدي أداء بيانها للمعنى أما البلاغة فتختص بالتأثير الذي يحدثه البيان عند المتلقي، فالبلاغة مبنية على الفصاحة والفصاحة مبنية على حسن الألفاظ، وهو يقول في ذلك: «ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تتناول المعنى أن الببغاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً إذ هو مقيم الحروف وليس

¹ أبو الهلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص16

² نفسه: ص17، 16

له قصد إلى المعنى الذي يؤديه، وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ، جيّد السّبك، غير مستكره فج ولا متكلف وخم ولا يمنعه من الاسمين شيء، لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف.¹

فسهولة اللفظ ووضوح الدلالة والجزالة، وجودة السّبك، وكل ما يتعلق باللفظ عند العسكري شرط لتحقيق معنى الفصاحة التي يعتبرها شرطاً للبلاغة، وقد كان الطريق الذي سلكه أبو هلال العسكري في ربطه الفصاحة للفظ المنطلق لابن سنان الخفاجي الذي «استثمر جهود سابقه من النقاد واللغويين والنحاة والبلاغيين، وخطا بالفصاحة خطوات كبرى، في ظل تصوراته للعلاقة بين اللفظ والمعنى التي جعل على أساس منها الفصاحة للألفاظ والبلاغة للألفاظ والمعاني معاً»² ويُقرّ حامد صالح خلف الربيعي في كتابه "البلاغة فنونها وأفنانها" بأنّ أوّل من تحدّث حديثاً شافياً عن الفصاحة هو ابن سنان الخفاجي في كتابه "سر الفصاحة" ومن بعده اغترفوا منه، ونقلوا عنه، ومن بعده ابن الأثير في "المثل السائر". فيقول ابن سنان في تعريفها: «الفصاحة الظهور والبيان...، والفرق بينها وبين البلاغة أن الفصاحة مقصورة

¹ أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص 17

² حامد صالح خلف الربيعي: مقاييس البلاغة، ص 468، 469

على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى تفضل عن مثلها: بليغة، وإن قيل فيها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا¹ من خلال قوله هذا يظهر أن الفصاحة خاصة باللفظ الظاهر البين الذي ليس فيه غموض ولبس، وقد فرق بينها وبين البلاغة، فهذه الأخيرة مقترنة باللفظ مع المعنى، أما الفصاحة فمقتصرة على اللفظ فقط، فهو لا يعتبر اللفظة وحدها وإن كانت فصيحة بليغة وكل كلام بليغ يجب أن يكون فصيحاً والعكس غير صحيح.

ويعرفها ابن الأثير بقوله: «الكلام الفصيح هو الظاهر البين، وأعني به أن تكون الفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة، وإنما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوفة الاستعمال، دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسناتها فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها، واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها فالفصيح من الألفاظ هو الحسن.»²

فالفصيح من الألفاظ -عنده- الظاهر البين الذي تكون ألفاظه مفهومة لأول وهلة ولا يحتاج فيها إلى بحث في المعاجم، ومن ثم فهي مألوفة الاستعمال لحسنها، فالحسن سبب

¹ ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، تح: النبوي شعلان، دار قباء، القاهرة، القاهرة، ط1، 2003م، ص66، 67.

² ابن الأثير: المثل السائر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، القاهرة، ج1، ص90.

استعمالها، واستعمالها سبب ظهورها وبيانها، إذن فاللفظ الفصيح هو الحسن في مفهومه. ويضيف بأن حسن الألفاظ داخلية في حيز الأصوات، فالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح ويعطي مثالا عن ذلك فيقول: «ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل من الطير...، ويكره صوت الغراب، وينفر عنه وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يحبذ ذلك في سهيل الفرس»¹ إذن فحسن الألفاظ مدرك بالسمع، لأنه بعيد مخارج الحروف، فما استساغته الأذن فهو الحسن وما كرهته فهو القبيح. هؤلاء هم أصحاب "الفصاحة للفظ" وبالمقابل ظهر اتجاه آخر يخالف الاتجاه الأول يجعل: "الفصاحة للنظم" وخير من يمثلها: القاضي عبد الجبار، والإمام عبد القاهر الجرجاني، ومدار الفصاحة عند أصحاب هذا الاتجاه على النظم، فهي خصوصية تظهر فيه.

ورغم معاصرة عبد القاهر لابن سنان، إلا أن بحثه كان في شيء آخر، فكان حديثه على النظم، ولهذا لم يخص الكلمة باهتمام وكثير بحث، بالإضافة إلى عدم تفريقه للفصاحة والبلاغة فهو يرجعها إلى معنى واحد - هذا سنفصل فيه لاحقا.

والفصاحة في اصطلاح البلاغيين المتأخرين صفة توصف بها الكلمة والكلام والمتكلم وهي في: «المفرد خلوصه من تنافر الحروف والغرابية، ومخالفة القياس وفي الكلام خلوصه من

¹ ابن الأثير: المثل السائر ، ص 91.

ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات مع فصاحتها، وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح»¹. ويمثل المتأخرين خير تمثيل الخطيب القزويني الذي يرجع الفصاحة في كتاب التلخيص إلى المفرد والكلام والمتكلم.

والذين أتوا بعد القزويني لم يخرجوا عما تحدث فيه، فمثلا صاحب كتاب الطراز يعرفها: «خلوص اللفظ عن التعقيد في تركيب الأحرف والألفاظ جميعا، فمتى سلمت اللفظة الواحدة عن تنافر تركيبها، ولم تكن من قبيل قولنا عقجق ولا من قولهم "الهُعُخُع" وهو شجر، وسلم تركيب الألفاظ عن التنافر أيضا كما قيل ليس قُرب قبر حرب، لأن التنافر في الأول إنما كان من أجل تقارب مخارج تلك الحروف، وحصل التنافر في الثاني من جهة تركيب الألفاظ المتقاربة، فحصل من أجل ذلك عثار في اللسان وتوَعَّر في المخارج»².

يبدو لنا من خلال هذا القول انه يهتم بجانبين: المعنى واللفظ، فخلوص اللفظة الواحدة أو الألفاظ من التعقيد راجع إلى المعنى أي عندما تأتلف الكلمة الواحدة أو مجموعة من الكلمات تشكل لنا معنى ظاهر مألوف مستعمل، وكذلك من جهة اللفظ، فعندما تسلم الكلمة الواحدة من تنافر حروفها أي من قرب مخارج حروفها وتسلم الكلمات مجتمعة من التنافر فتشكل كلمة

¹ الشريف الجرجاني: التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (دط)، 2006م، ص 169.

² يحيى بن حمزة العلوي: الطراز، دار الكتب الحذينة، مصر، ج1، ص 104.

عربية أصلية فصيحة أو تركيباً سليماً فصيحاً، وضرب لنا مثلاً عن تنافر اللفظة الواحدة في "عجق" و "هعخع" فهاتان الكلمتان غير فصيحيتين بسبب تقارب مخارجهما مشكلة بذلك عثارا في اللسان، وتوَعَّر في المخارج، وضرب لنا مثلاً عن تنافر الألفاظ مجتمعة بـ "ليس قرب قبر حرب قبر" فهي متنافرة بسبب تقارب تركيب ألفاظها مشكلة كذلك عثار في اللسان وتوَعَّر في المخارج.

ويقول صاحب جواهر البلاغة: «الفصاحة في اصطلاح أهل المعاني هي الألفاظ البيّنة الظاهرة، المتبادرة إلى الفهم والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء وتقع وصفا للكلمة والكلام والمتكلم»¹.

والفصاحة في مفهوم أهل المعاني عبارة عن الألفاظ الظاهرة البعيدة عن الغموض والمفهومة والمتداولة الاستعمال سواء بالنسبة للكتاب أو الشعراء على السواء وهو لا يخرج عن مفهوم الفصاحة عند البلاغيين المتأخرين باعتبارها وصفا للكلمة والكلام والمتكلم.

¹ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في العاني والبيان والبدیع، ضبط: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص 20.

وهي: «الإبانة عن فكرة بكلام خال من التعقيد، واللفظة الفصيحة هي السليمة من تنافر الحروف، ومن غرابة الاستعمال والجملة الفصيحة هي التي تسلم من ضعف التركيب وتنافر الكلام، والتعقيد، وكثرة التكرار، والإطناب الممل، وتتابع الإضافات والأوصاف إلى مضاف واحد وموصوف واحد.»¹

فهي تعني عند صاحب هذا التعريف، التعبير عن فكرة ما بشرط الوضوح والابتعاد عن اللبس، ويشترط في اللفظة الفصيحة سلامتها من: تنافر الحروف، وغرابة الاستعمال، كما يشترط في فصاحة الجملة سلامتها من ضعف التركيب، وتنافر الكلام باعتبار أن كل لفظة منها متنافرة فيؤدي في تركيبها إلى تنافر الكلام، والتعقيد، وكثرة التكرار والإطناب الممل وتتابع الإضافات والأوصاف إلى مضاف واحد وموصوف واحد وكل هذا سنتطرق إليه بالتفصيل عند حديثنا عن أنواع الفصاحة. وخلاصة حديثنا أن الفصاحة عند المتقدمين من علمائنا انقسمت إلى قسمين: القسم الأول يردّها إلى "اللفظ" فقط، وخير من يمثل هذا الاتجاه الجاحظ، ابن سنان الخفاجي، ابن الأثير...، والقسم الثاني يردّها إلى اللفظ والمعنى معا وخير

² محمد التونجي، الجامع في علوم البلاغة، دار العزة والكرامة للكتاب، وهران، الجزائر، ط1، 1433هـ-2012م، ص11.

من يمثل هذا الاتجاه عبد القاهر الجرجاني، أمّا المتأخرون فيعتبرون أنها وصف للكلمة والكلام والمتكلم، إضافة إلى أن التفريق بين الفصاحة والبلاغة لم يظهر إلا مع أبي هلال العسكري وابن سنان الخفاجي يليها ابن الأثير، وكذلك لا يختلف اثنان في أنّ معظم علماءنا المتأخرين منهم والمحدثين يفرقون بين الفصاحة والبلاغة، ويجعلون لكل منها مجالها الخاص بها. المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي يشتركان في أنّ كلاهما يدل على الإبانة والظهور والانكشاف التي تفيد الصفاء والخلوص من الشوائب التي تحول دون المطلوب.

ج - أنواع الفصاحة

أ. فصاحة الكلمة، ب. فصاحة الكلام، ج. فصاحة المتكلم.

أ. فصاحة الكلمة: سلامتها من أربعة عيوب:

- 1- تنافر الحروف، 2- غرابة الاستعمال، 3- مخالفة القياس، 4- الكراهة في السّمع.
- 1- تنافر الحروف: هو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السّمع وصعوبة أدائها باللسان بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج وهو نوعان:
- أ- شديد في الثقل: كالظش للموضوع الخشن، ونحو: هُغْغُ من قول أعرابي: تركت ناقتي ترعى الهُغْغُ.

والهُغْغُ: نَبَت ترعاه الإبل، وهي كلمة غير فصيحة بسبب تقارب مخارجها.

ب- خفيف: كالنقطة لصوت الضفادع، والنقاخ للماء العذب الصافي، ونحو مُسْتَشْزَرَات¹

من قول امرئ القيس:

غدايره مُسْتَشْزَرَاتٌ إِلَى الْعُلَا².

فالمقصود بالغدائر: الذوائب، ومستشزرات: مرتفعات، فكلمة مُسْتَشْزَرَاتٌ كلمة غير فصيحة

بسبب تقارب مخرجها الذي يؤدي إلى ثقلها على اللسان، وعسر النطق بها.

ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم والحس الصادق الناجمين عن النظر

في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم.

2- غرابة الاستعمال: وهي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند

العرب الفصحاء، لأن المعول عليه في ذلك استعمالهم، والغرابة قسمان³:

- القسم الأول: ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لتردها بين

¹ أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، ص 20.

² امرئ القيس: ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت، ط3: 1438هـ - 2007م، ص 44.

³ أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص 20 - 21.

معنيين أو أكثر بلا قرينة، و ذلك في الألفاظ المشتركة "كمسرج"¹ من قول رؤية بن العجاج:

و مقلة و حاجبا مرجحا و فاحما و مرسنا مسرجا²

المرسن : الأنف ، ومسرج لم يعرف المراد منها ، و قد إختلف فيها في تخريجها " فقليل:

هو من قولهم للسيوف "سريجة" منسوبة إلى قين يقال له سريج ، يريد أنه في الإسـتواء

و الدقة كالسيف السريجي، و قيل : من السراج ، يريد أنه في البريق كالسراج و هذا يقرب

من قولهم "سرج وجهه " بكسر الراء أي حسن ، وسرج (الله) وجهه أي بهجه و حسنه³

- القسم الثاني: ما يعاب إستعماله لا يحتاج إلى تتبع اللغات و كثرة البحث و التفتيش في

المعاجم " قواميس متن اللغة المطولة "

¹ أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة ، ص21.

² نفسه:ص21.

³ الخطيب القزويني:الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ص.6.

أ)- فمناه ما يعثر فيها على تفسير بعد كد و بحث نحو: تكأأ تم بمعنى إجتماع¹

من قول عيسى بن عمر النحوي:

ما لكم تكأأتم علي كأكأككم على ذي جنة ، افرنقوا عني² .

ب)- و منه ما لا يعثر على تفسيره نحو (جحلنجع) ، من قول أبي الهميسع من طمحة

صيرها جحلنجع³.

فكلمة "تكأأتم" كلمة غير فصيحة ، لأنها وحشية ، لا يظهر معناها إلا بعد البحث

و التقصي عنها في كتب اللغة المبسوطه ، لكن كلمة "جحلنجع" لم يعثر على معناها فهي إذا

غريبة عن الإستعمال و بالتالي هي غير فصيحة.

3 -/ مخالفة الإستعمال: كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفي المستتب من كلام

العرب، بان تكون على خلاف ما ثبت فيها عن الواضع ، مثل كلمة " الأجل " في قول

الشاعر: الحمد لله العلي الأجل.

¹ أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة ، ص 23.22.

² نفسه: ص23.

³ نفسه: ص23.

فإن القياس " الأجل بالإدغام ، و لا مسوغ لفكه ، و كقطع همزة الوصل في قول جميل بذلك فهي غير فصيحة . لكن يستثني من ذلك ما ثبت إستعماله لدى العرب مخالفا للقياس و لم يخرج عن الفصاحة لفظتا " المشرق " و "المغرب" بكسر الراء و القياس فتحها فيهما.

4/- الكراهة في السمع: كون الكلمة وحشية تأنفها الطباع ، و تمجها الأسماع و تنبو عنه كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة ، كلفظ "الجرشي " في قول أبي الطيب المتنبّي

كريم الجرشي شريف النسب¹

و هذا البيت قاله المتنبّي مادحا سيف الدولة ، و المقصود بمعنى "الجرشي" هو النفس و هو على وزن "فعلى" ، فهي كلمة لا تستسيغها الأذن و بالتالي هي فصيحة .

(ب)- فصاحة الكلام:

فصاحة الكلام سلامته بعد فصاحة مفرداته مما يبيهم معناه و يحول دون المراد منه و تتحقق فصاحته بخلوه من ستة عيوب:

أ – تنافر الكلمات مجتمعة: و هي أن تكون الكلمات ثقيلة من تركيبها مع بعضها على السمع

¹ المتنبّي:ديوان المتنبّي ، دار صادر،بيروت، لبنان، ط. 2، 2008، م ، ص. 282.

عسرة النطق بها مجتمعة على اللسان ، و إن كان كل جزء منه على إنفراده فصيحاً و التنافر نوعان:

1 -/ شديد الثقل: كقول الشاعر : و ليس قرب قبر حرب قبر¹

فحرب هو إسم يعود على صاحبه حرب بن أمية قتله قائل هذا البيت ، وقفر : مكان خال من الماء و الكلاً ، و قبر إسم ليس مؤخر و قرب خبرها مقدم، فلو أخذنا كل كلمة على حدى لوجدناها غير مستكرهة و لا ثقيلة ، لكنها مجتمعة تصبح ثقيلة و متنافرة بسبب إجتماع كلماته و قرب مخارج حروفها ثقلاً ظاهراً.

2-/ خفيف الثقل: نحو قول أبي تمام

كريم متى أمدحه أمدحه و الورى
معي وإذا ما لمته لمته وحدي²

فإن في قوله " أمدحه " ثقلاً ما ، لما بين الحاء و الهاء من تنافر.

¹ أحمد الهاشمي:جواهر البلاغة،ص32.

² أبوتمام البحتري: ديوان أبي تمام البحتري ، ضبط و شرح : شاهين عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .ط.3

1424هـ - 2003 م ، ص 12.

ت- **ضعف التأليف:** أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما أشتهر من قوانين النحو

المعتبرة عند جمهور العلماء ، كوصل الضميرين ، و تقديم غير الأعراف منها على

الأعراف مع أنه يجب الفصل في نحو هذا ، كقول المتنبي:

خلت البلاد من الغزاة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا¹.

فكلمة "أعاضهاك" فيها وصل لضميرين هما : الهاء و الكاف.

و ضعف التأليف ناشئ من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولي النظر

و أما إذا خالف المجتمع عيه كجر الفاعل و رفع المفعول ففساد غير معتبر و الكلام في

تركيب له صحة و اعتبار.

ج - التعقيد اللفظي: و هو كون الكلام مخفي الدلالة على المعنى المراد به بحيث تكون

الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني ، و ينشأ ذلك الخفاء من تقديم أو تأخير و فصل

بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاوز و يتصل بعضها ببعض.

¹المتنبي: ديوان المتنبي ، ص.103.

و المقصود ب "قصا بأجنبي " فصل بين الموصوف و الصفة ، و بين البذل و المبدل منه و بين المبتدأ و الخبر ، و بين المستثنى منه ، مما يسبب ارتباكاً و اضطراباً شديداً وهو مذموم لأنه يوجب اختلال المعنى و اضطرابه ، كقول المتنبي :

جفخت وهم لا يجحفون بها بهم شيم على الحسب الأغر دلائل¹

فهو يفخر بالأخلاق التي تدل على الحسب و هم لا يفخرون بها ، و لو استعمل المتنبي " فخرت " كان أفضل.

د- التعقيد المعنوي: و هو كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد ، لخلل في انتقال ذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلى وسائل كثيرة مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود²

هو ببساطة سوء اختيار المتكلم للألفاظ التي يريد التعبير بها ، فيسئ بذلك اختيار الكلمات للمعنى الذي يريده ، مما يؤدي إلى عدم فهم السامع نحو: نشر الملك ألسنته في المدينة ، فهذا

¹ المتنبي: ديوان المتنبي ، ص. 33.

² أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة ، ص. 34 .

المثال عندما يسمعه أحد لا يفهم معناه ، لأن المتكلم لم يصب في اختيار الألفاظ المعبرة عن فكرة ما ، و هذه الفكرة هي أن الملك نشر جواسيسه ، فالأفضل لو قال نشر عيونيه بدلا عن نشر أسننته.

و- كثرة التكرار: هو تكرار اللفظ الواحد سواء أكان اسما او فعلا او حرفا و سواء كا الاسم ظاهرا او ضميرا ، بغير فائدة فذكر الشيء مرتان لا يسمى كثرة ، بل يسمى تكرارا ، أما إذا ذكر ثلاث مرات فأكثر فيسمى "كثرة التكرار " كقول الشاعر :

إني و أوسطار سطرن سطرأ لقائل يا نصر نصر نصرا¹

فتكرار كلمة "نصر" يسمى " كثرة تكرار" و هو لا يؤدي فائدة في الكلام.

ي - تتابع الإضافات : كون الإسم مضافا إضافة متداخلة غالبا ، كقول ابن بابك . حمامة جرجا حومة الجندل اسجعي .

فحمامة معرف بالإضافة ، و قد أكثر الشاعر من الإضافات التي تبعد عن الفصاحة و حومة الجندل تعني : معظم الصخر ، و السجع هو صوت الحمام .

¹ أحمد الهاشمي:جواهر البلاغة، ص 35.

و هناك من أجاز العيبين الأخيرين - و - ي - لوقوعهما في القرآن الكريم في قوله تعالى «و نفس و ما سواها» [الشمس : 7] و في قوله تعالى أيضا : ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ [مريم : 2] و قول النبي صلى الله عليه و سلم : " الكريم ابن الكريم ابن الكريم : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم¹ "

ج (- فصاحة المتكلم :

فصاحة المتكلم عبارة عن الملكة التي يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أي غرض كان ، فيكون قادرا بصفة الفصاحة الثابتة في نفسه على صياغة الكلام متمكنا من التصرف في ضروره ، بصيرا بالخوض في جهاته و مناحيه فالملكة قسم من مقولة الكيف التي هي هيئة قارة لا تقتضي قسمة و لا نسبة ، و هو مختص بذوات الأنفس راسخ في موضوعه².

و قيل : " ملكة " و لم يقل " صفة " ليشعر بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة حتى لا يكون المعبر عن مقصود بلفظ فصيح فصيحاً إلا إذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه.

¹ الخطيب القزويني : ينظر الإيضاح في علوم البلاغة ، ضبط و شرح : عبد الرحمن البرقوني ، دار الفكر العربي ط . 1 . 1904 ، ص 10 .

² أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة ، ص 38 .

و قيل : " يقتدر بها " و لم يقل " يعبر بها " ليشمل حالتي النطق و عدمه.

و قيل : " بلفظ فصيح " ليعم المفرد المركب¹.

و قد اختلفت تقسيم المتقدمين عن المتأخرين مثلاً تقسيم ابن سنان الخفاجي الذي جعل الفصاحة قسمين: فصاحة المفرد ، و فصاحة المركب ، ف الأول أن تكون الكلمة الواحدة منفردة من غير أن ينضم إليها شيء من الالبفاظ منظومة بعضها إلى بعض ، بينما قسمها المتأخرون أمثال القزويني إلى ثلاثة أقسام : فصاحة الكلمة (الفردة) ، فصاحة المتكلم وهناك نقاط إشتراك في الأمثلة المذكورة لكل عيب و هناك المختلفة منها ، و يظهر من خلال قول صاحب كتاب البلاغة فنونها و أفنانها : «..... تدرك القيمة الموضوعية و المنهجية كما نلح الروعة الأدبية و الفنية فيما فصله ابن سنان ، و فيما ذكره ابن الأثير و مع تقديرنا لصاحب " التلخيص " و عذرنا له فيما أوجر ، فلقد كان أملنا في بعض الكابيتين المحدثين أن لا يقفوا عند الإختصار و الإبتسار و التراث مليء بكثير من الشواهد»².

¹ القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 11.

² فضل حسن عباس : البلاغة فنونها و أفنانها ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن، ط 2 ، 1409 هـ - 1989 م ص 45.46.

ثانيا- البلاغة:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (ب ل غ):

بلغ: بلغ الشيء: يبلغ بلوغا و بلاغا: وصل و انتهى، و أبلغه هو إبلاغا و بلغه تبليغا. و البلاغة: الفصاحة، و البالغ: البليغ من الرجال، رجل بليغ و بلغ و بلغ حسن الكلام فصيح وعبارة لسانه كنه ما في قلبه، و الجمع بلغاء¹. و في مجمل اللغة وردت: بلغ: بلغت المكان أشرفت عليه، و البلوغ: الوصول... ، و البليغ: الرجل الفصيح.² فالبلاغة في اللغة هي الانتهاء و الوصول.

ب- اصطلاحا:

ارتبط تعريف البلاغة عند أغلب من تصدى لتعريفها بمفهوم المطابقة يقول صاحب كتاب التعريفات: "البلاغة... في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال"³، و هذا التعريف نجد ما يشبهه في تعريف الخطيب القزويني بقوله: "بلاغة الكلام هي مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته و مقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة

¹ ابن منظور: لسان العرب ، مادة (ب ل غ) ، ص 468 – 469 .

² أحمد بن فارس ، مجمل اللغة ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة، ط 1، 1404هـ ، 1984م، ص 135.

³ الجرجاني علي بن محمد، كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب، بيروت-لبنان، ط4، 1418هـ، 1998م، ص 66.

و ما يلفت النظر في تعريف البلاغة هو الفصل بين بلاغة الكلام و بلاغة المتكلم
فبلاغة الكلام أن يكون مطابقا لمقتضى الحال مع فصاحته، أي أن يكون التعبير فيه
خصائص و أوضاع معينة حيث تسمح هذه الاوضاع و الخصائص على حمل المعاني كون
بها الكلام وافيًا، و مطابقا لما يتطلبه الموقف الداعي.

معنى هذا أن يكون الكلام واضحا بعبارات صحيحة فصيحة، مع ملاءمة كل الكلام
للموطن الذي يقال فيه، و الاشخاص الذين خاطبون به.

وهناك تعريفات عديدة للبلاغة نذكر منها:

"البلاغة راجعة إلى اللفظ باعتباره إفادة المعنى بالتركيب، و إذا لم يكن الكلام مركبا من
ألفاظ فلا يسمى بليغا.¹"

"البلاغة مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، و إلى
تمييز الكلام الفصيح عن غيره.²"

¹ محمد أبو شوارب، أحمد محمود المصري، المدخل لدراسة البلاغة العربية، دار الوفاء للطباعة و النشر، الاسكندرية-
مصر، ط1، 2007، مـ، ص203 .

² أحمد محمود المصري، رؤى في البلاغة العربية، دراسة تطبيقية لمباحث علم البديع، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،
الإسكندرية-مصر، ط1، 2008، مـ، ص15 .

يقول "أحمد أبو المجد" في كتابه "الواضح في البلاغة" في تعريف البلاغة: "...هي القدرة على تكوين الأسلوب الجيد، أي: نقل أفكار الأديب، و تصوير أحاسيسه و مشاعره في عبارة واضحة تحدث أثرا خلابا و متعة في نفس القارئ"¹ كذلك البلاغة هي: "الإجادة في إيصال المعنى إلى ذهن السامع و القارئ باستقامة و وضوح"².

مما تقدم فالبلاغة هي العلم الذي يهتم بدراسة اللغة و علاقتها بالموقف و يركز أغلب الباحثين على مطابقتها مقتضى الحال، و كذلك ندرس الكلام البليغ و الفصيح و تهتم بعلاقة المتكلم و السامع من تأثير و غيره... لذلك فالبلاغة هي حسن البيان و قوة التأثير.

¹ أحمد أبو المجد: الواضح في البلاغة (البيان و المعاني و البديع)، دار جرير للنشر و التوزيع، عمان-الأردن ، ط 1 ،

1431 هـ، 2010 م، ص 14.

² جورج شكور: كتاب البيان، موجز في البيان و العروض، دار الفكر اللبناني، بيروت-لبنان، ط 1، 1996 م، ص 40.

ج - علوم البلاغة:

من المعروف و المسلم به أن للبلاغة العربية ثلاثة علوم وفنون هي:

1- علم المعاني :

"هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"¹ وهو احد علوم البلاغة الثلاث "جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس هجري (ت 481هـ) ووضع نظرية المعاني في كتابه دلائل الإعجاز"² والمقصود مما ذكرناه أنفا معرفة مقتضى الحال؛ أي أحوال اللفظ و أحوال الجملة بطرفيها أي أن "علم المعاني يتعلق بالأمور اللفظية من الذكر والحذف ونحوها..."³ أي يهتم بالذي يحدثه علم المعاني في بلاغة القول وما يولده في الواقع من معان مستفادة من هذه الألفاظ و تكون ضمنا تفهم من خلال القرائن اللفظية . هتم علم المعاني بـ: أحوال الإسناد الخبري ،أحوال المسند إليه،أحوال المسند،أحوال متعلقات الفعل ،القصر،الإنشاء،الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة.

¹ الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمان البرقوقي،دار الفكر العربي،ط1، 1904، مـ ،ص 37

² عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية،بيروت-لبنان ، د.ط، د.ت ،ص25 .

³ عبد المتعالي صعيدي: البلاغة العالية، علم المعاني، تح: عبد القادر حسين، ط02 ، 1991 مـ ،ص 38 .

⁴ نفسه: ص235 .

2- علم البيان:

"هو علم يراد به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"⁴ فالبيان إذا يبحث في كيفية أداء المعنى الواحد بطرق مختلفة في دلالتها وصورها وأشكالها. فتكمن وظيفة البيان في "تنمية الذوق الفني لإدراك نسب الجمال والإبداع، والتمييز بين مستويات الصور ودرجاتها جمالاً وإبداعاً..."¹.

و قد وردت لفظة بيان في القرآن الكريم بمعنى الإيضاح و الكشف و الإبانة، وعلوّ الكلام، و إظهار المعنى المقصود بأبلغ لفظ، قال عز و جل: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾ [الرحمن 1. 4]

و قوله "عزّ و جل" : ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (138)﴾ [آل عمران: 138] ، أما الفنون فهي: التشبيه ،الحقيقة،المجازو الكناية والإستعارة وغيرها من الفنون.مر علم البيان بمراحل تاريخية عدة،تبين كيف نشأ وتطور هذا العلم في كنف هذه العصور ،وعلى أيادي علماء وعابرة البلاغة ومن خلال تضافر جهود الباحثين على كشف أصوله من تشبيه، وحقيقة، ومجاز واستعارة وكناية، وقد ظل الأمر كذلك حتى ظهر عبد

¹ عاطف فضل محمد: "البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان-الأردن، ط01، 2011 م ، ص39 .

القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري، الذي استعان بهذه الجهود، ووضع نظرية علم البيان.¹

3- علم البديع:

أول من وضع قواعد هذا العلم، ودون أصوله الخليفة العباسي "عبد الله بن المعتز" المتوفى سنة 296 هـ البديع في اللغة: الجديد، المخترع، لا على سابق، لاحتذاء متقدم يقال: ابداع الشيء أي: اخترعه لا على مثال، ومنه البديع اسم من أسماء الله -تعالى- بمعنى المبدع، أي الموجد للأشياء بلا مثال تقدم، فالبديع يدل على الجدة وعلى الابتداء، وابتدعت شيء أي كنت السباق لاكتشافه واختراعه وكان من صنعك وإبداعك الخاص. أما فنون البديع فقد اختلفت وتنوعت وكل استخدام لفظ البديع يدل على الوان بيانه تدخل في علوم البلاغة "ويعدّ الجاحظ من الأوائل الذين اعتنوا بالبديع وصوّره، وقد أطلقه على فنون البلاغة المختلفة يميّزه عن علمي البيان والمعاني" حيث يقول في تعريفه للبديع: "علم يعرف منه وجوه تحسين الكلام، باعتبار نسبة بعض أجزائه إلى بعض بغير الاسناد والتعليق، مع رعاية أسباب البلاغة"²

¹ عبد العزيز عتيق: علم البيان ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط ، ص 21.

² سعد سليمان حمودة، دروس البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، د.ط ، 1999م ، ص 11.

ويورد وجوده في ركنين:

• الركن الأول: المحسنات المعنوية وهي:

المطابقة والمقابلة والمناسبة والمشكلة والاستطراد والعكس والارصاد والتورية وغيرها من
الفنون.

• الركن الثاني: المحسنات اللفظية:

وهي سبعة اقسام : الجناس التام، الجناس الناقص، الملحق بالجناس، ردّ العجز على الصدر
الاسجاع، التصريع، لزوم ما لايلزم

الفصل الثاني الفصاحة و البلاغة عند

جاء الفقاهد الجبرجاني

أولاً: عبد القاهر الجرجاني:

أ- ترجمة حياته:

هو العالم اللّغوي وشيخ النّحويين أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمّد الجرجاني الإمام النّحوي، المتكلّم على مذهب الأشاعرة، الفقيه الشافعي¹ فارسيّ الأصل جرجانيّ الدار عالم بالنحو والبلاغة.² ولد عبد القاهر مطلع القرن الخامس الهجري بجرّان إحدى المدن الفارسية المشهورة والواقعة بين طبرستان وخرسان³، سنة 400 هـ الموافق لـ 1010م، وهو ينحدر من أسرة رقيقة الحال وقد ظلّ في جرجان ولم يبرحها طوال حياته. أخذ النّحو عن الشيخ أبي الحسن محمّد بن حسن بن محمّد عبد الوارث الفارسي نزيل جرجان، ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وأكثر عنه قرأ في تصانيف النّحاة والأدباء وتصدّر بجرّان وجنّت إليه الرحال، وصنّف التّصانيف الجليلة، فضلاً عن ذلك كان له شعر رقيق⁴

¹ عبد العاطي غريب: البلاغة العربية بين الناقدین الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل بروت، ط 01، 1993م، ص 28.

² القفطي : أنباه الرواة على أنباء النّحاة، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط 01، 1406هـ- 1986م، ج 02، ص 188.

³ وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 01، 1403هـ- 1983م، ص 46.

⁴ أبو محمد عبد الله المكي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يقصر من حوادث الزمان، بيروت، لبنان، ج 03، ص 101.

اختلف في سنة وفاته؛ فقل إحدى وسبعين وأربعمائة، وقيل أربع وسبعين وأربعمائة للهِجرة إلا أنه خَفَ لنا تصانيف رائعة امتازت بالبلاغة التامة والفصاحة البليغة التي يستطيع الباحث العودة إليها متى وكيفما شاء لسهولة ألفاظه ولرونقها، فقد كانت تلك التّصانيف في كلّ موضوع تقريباً - فرحمة الله عليه-. وقد أرّخت له مراجع تاريخية وثقافية عديدة، وهي على التوالي: ترجم له السيوطي في كتابه (بغية الوعاة)، والحافظ الذهبي في تاريخه (دول الإسلام)، والسبكي في (طبقات الشافعية)، وابن العماد في كتابه (شذرات الذهب)، وصاحب كتاب (فوات الوفيات) محمد الكتبي. وهي كتب لم تؤرّخ لحياة العلامة الجليل تأريخاً مفصّلاً بل كان جلّ اهتمامه منصباً على أصالته العلمية ومكانته الدّينية وشهرته النّحوية التي ذاعت بالأصقاع، ثم مدينته وما فيها من مزروعات وأشجار مثمرة، وأهلها وما اتّصفوا به من أخلاق حميدة¹

ب - ثقافته وعلمه:

تتلمذ عبد القاهر على يد أستاذ واحد هو الإمام النّحوي أبو الحسن محمّد بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن عبد الوارث، وهو ابن أخت أبي علي الفارسي²، وتتّقف

¹ السيوطي: فوات الوفيات، محمد الكتبي، ج 01، ص 297. بغية الوعاة، ص 177. ابن العماد، شذرات الذهب، ج 02، ص 240.

² وليد محمدمراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية، ص 46-47.

على يده، وأخذ عنه جلّ علمه، ودرس عنده كتاب "الإيضاح" وقد عني عبد القاهر بهذا الكتاب عناية كبيرة، فوضع عليه شروحا كبيرة في ثلاثين مجلّدا أسماه "المغني" ثم اختصر هذا الشرح في ثلاث مجلّدات بكتاب سمّاه "المقتصد".

ولكن عبد القاهر لم يقف في تعلّمه وأخذ علمه عن شيخه المفضّل الذي كان يشير إليه دون أن يذكر اسمه، ويكتفي بالقول: "وقال شيخنا رحمه الله" أو "أنشدنا شيخنا رحمه الله" أو "حكى شيخنا رحمه الله"، بل قرأ الكتب الكثيرة التي موضوعها اللّغة والنحو والبلاغة والأدب بعقل وفكر واع للكثيرين الذين اشتهروا باللّغة والنحو والأدب¹، فقد قضى حياته في البحث والدراسة والإطلاع والتأليف، كانت ثقافته ثقافة عربية خالصة، وقد أعانه عقله وذكائه على استيعاب كل ما كان في عصره من ثقافة، كما مكّنته مواهبه من الاستفادة مما كتبه العلماء والأدباء الذين سبقوه² أمثال: كتاب سيبويه، وما كتبه الجاحظ والمبرّد، وابن دريد والعسكري والمرزباني والفارسي والآمدي، والقاضي الجرجاني وابن جنّي، ولقد عرف شيوعه الفكري في العلوم اللّغوية منها النحو والبلاغة، وهو ما يحيل إلى بروز كفاءته، وتدل كتبه التي وصلتنا عنه على غزارة فكره، وقد عدّ النحو والبلاغة من أكثر المسائل التي خاض فيها وكثيرا ما ربطها بالدراسات القرآنية.

¹ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 05، 2004م، ص 112-132-176.

² وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية، ص 49.

وكان ثمرة هذا الإطلاع الثقافي الواسع أن تصدر جرجان وذاع صيته وشدت إليه الرّحال من قبل طلاب العلم في زمانه، يقرؤون كتبه ويأخذون عنه علمه، ومن طلابه يحي بن علي الخطيب التبريزي، وكذلك طلاب آخرين ذكرتهم كتب الرواة أمثال نصر بن ابراهيم بن محمد الشجري، وأحمد بن عبد الله المهابدي الضّرير صاحب "شرح كتاب اللّمع" لابن جني.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نقول بأن حياة عبد القاهر الفكرية كانت تمثل صورة عصره المزدهر أصدق تمثيل، والمتمثل في امتزاج الثقافات المتنوعة والمختلفة من عربية فارسية هندية ويونانية وتلك حتمية احتكاك الحضارات الإنسانية بعضها ببعض وانتقالها بين الأمم.

ج – مؤلفاته وآثاره:

أولاً: في النشر:

مصنّفات عبد القاهر عديدة ومتنوعة حسب تنوع ثقافته القرآنية والنحوية والبلاغية، ذكرتها كتب التراجم وأكّدها كتب الباحثين المحدثين بأن بعض هذه المصنّفات ما يزال مجهولاً مع ضياع عدد كبير منها وأهمها:

1) المغني: ثلاثون مجلداً، خصّص لشرح كتاب الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي

المتوفي سنة (377هـ) ولا نعرف عنه شيئاً أكثر مما أشار إليه القدماء من السلف.

- (2) **شرح الفاتحة:** وهو من كتبه المفقودة التي أشار إليها المحدثون في كتبهم ويبدو من اسمه أنه كتاب ديني خصّص لشرح الفاتحة وآيات بيّنات أخرى، وأنه تطبيق لمنهجه الخاص في التفسير، وشرح لأحوال النظم في القرآن الكريم.
- (3) **المعتضد:** تضمّن شرحا وافيا لكتاب أبي عبيدة محمد بن يزيد الواسطي المتوفي سنة (307هـ) في إعجاز القرآن، وقد سمّاه بعضهم "إعجاز القرآن" ذلك ما ذكره القفطي في "أنباه الرواة" وله إعجاز القرآن دلّ على معرفته بأصول البلاغات ومجاز الإيجاز¹.
- (4) **الرسالة الشافية:** هدف عبد القاهر من هذه الرسالة إثبات إعجاز القرآن للعرب عن معارضته، وهي ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، طبعت في كتاب واحد ردّ فيها على من زعم أن عجز العرب قد نشأ من أنهم لا يستطيعون النظم في مثل القرآن، ولأنّ الله تعالى صرفهم عن مثل ذلك النظم وردّ على بعض القائلين بالصرفة.
- (5) **الشرح الصغير:** وهو شرح مختصر لكتاب الواسطي ليس له أثر، فقد مع الكتب الأخرى إلّا أنّ اهتمام عبد القاهر بكتاب الواسطي كان كبيرا دفعه لشرحه مرتّين ولتأليف كتاب "دلائل الإعجاز" فيما بعد، وقد سُمّي أحد هذين الشرحين بالمقتضب وهو كتاب كبير وسمي الكتاب الآخر بالشرح الصغير.

¹ وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية، ص 50-51.

(6) الإيجاز: إنَّ إعجاب عبد القاهر بمؤلفات أستاذه أبي الحسن الفارسي النحوية جعلته يوجز كتاب "المغني" وشرحه أكثر من مرّة، فكتاب الإيجاز هذا ليس إلا كتاباً مختصراً لكتاب "الإيضاح" الذي جعله في كتابه "المغني" ثلاثين مجلداً المتعارف عليه بـ "المقتصد" ذكره حاجي خليفة والبغدادي في "هدية العارفين" ومثله كتاب "العوامل المائة" في علم النحو والتتمة في النحو.

(7) العوامل المائة: يذكر الدكتور أحمد مطلوب أنَّ هذا الكتاب من الكتب المتداولة، ومن كتب عبد القاهر المختصرة، تضمّن ما يجب معرفته لطلاب النحو من علم في الإعراب جعله ثلاثة أبواب: باب في العامل وآخر في المعمول وباب ثالث في الإعراب، طبع عدّة مرّات وأشهر طبعاته المذكورة في (مجموعة مهمات المتون) وله مخطوطات كثيرة في دار الكتب المصرية وفي

العراق وفي إيران وفي المتحف البريطاني، ومن الشروح شرح لحاجي بابا الطوسي وحسام الدين، وحسين التوقاني، والمولى أحمد بن مصطفى المعروف ببيطاش.

(8) التكملة: ذكره القفطي عندما تحدّث عن المقتصد وقال: «المقتصد في شرح الإيضاح وهو مقتصد من مثله على ما أسماه، لم يأت في الإيضاح بشيء له مقدار، ولما برع في التكملة لم يقصر بنسبته إلى ما عهد منه ولو شاء لأطال. وسمّاه الزركلي (بالتتمة) ومنه نسخة محفوظة في المتحف البريطاني.

(9) الجمل: وسمّي هذا الكتاب بالجرجانيات، عبارة عن خمسة فصول وهو شرح لكتاب العوامل ذكره القفطي في أنباه الرواة وقال فيه: «وله شرح كتاب العوامل سماه الجمل، ثمّ

صنّف شرحه فجري على عادته في الإيجاز.¹ وما شرح كتاب التلخيص إلّا شرح لكتاب الجمل، اشتملت هذه الكتب شروحا في النّحو كما الحال في كتابه المقتصد.

(10) المقتصد: جعله عبد القاهر ملّخصا لكتاب "المغني" في النّحو وهو ثلاث مجلّدات وبمجمله لم يعجب القفطي، وذكر أن عبد القاهر أتمّه في شهر رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة وقرأه عليه أحمد بن محمّد الشجري، وفي دار الكتب المصرية نسخة خطيّة تحت رقم (1103).

(11) العمدة في التصريف: وهو كتاب بمجمله في التصريف، منه نسخة خطيّة في مكتبته (لاله) باستانبول ضمن مجموعة من الكتب تحت رقم (3740) ونسخة أخرى في معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية تحت رقم (15) تحدث فيه عن تصريف الأفعال الثلاثية والمعتل بالفاء ومعتل العين واللام والمضاعف، ثمّ الأفعال التي فيها زيادة من الثلاثي، وختمه بفصل مسألة من الأصول التي يجب حفظها.

(12) كتاب في العروض: هو عبارة عن قصيدة، تضمّنت الأوزان الشعرية، طبعت في ذيل كتاب (الإقناع في العروض وتخريج القوافي) للصاحب بن عباد سنة (1379هـ) وحققه ببغداد الشيخ محمّد آل ياسين.

¹ القفطي: أنباه الرواة على أنباء النحاة، ص 188.

(13) دلائل الإعجاز: اهتم رائد النهضة الإسلامية في العصر الحديث ومفتي الديار الإسلامية ورئيس جمعية العلوم بتدريس مادة البلاغة في الأزهر الشريف، فأمر بطبع كتابي دلائل وأسرار البلاغة ليكونا مادة للدرس البلاغي طبع دلائل الإعجاز لأول مرة سنة (1321هـ) بعناية السيد محمد رشيد رضا وإشراف الإمام محمد عبده، ثم طبع عدة مرّات بتحقيق أحمد مصطفى المراغي، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وقد سيطرت على الكتاب نظرية النظم بثنتي أقسامها من علوم المعاني¹، تناول فيه اللفظ والمعنى والفصاحة والبلاغة وتحرير القول في الإعجاز وغيرها من الموضوعات اللغوية الهامة وأثر الكتاب في الدراسات القرآنية واللغوية تأثيرا عظيما، وسار على نهجه كل من الزمخشري في كتابه "الكشاف" والسكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" والفخر الرازي في كتابه "إعجاز القرآن" والقزويني في شروح التلخيص وآخرون. وتعتبر النسخة الأصلية لهذا الكتاب هي النسخة التي استحضرها الإمام محمد عبده من المدينة المنورة وأخرى من بغداد للمقارنة، ذلك ما أكده محمد رشيد رضا منشئ مطبعة المنار في الديار المصرية.

(14) أسرار البلاغة: أطلق السكاكي على موضوعات هذا الكتاب (علم البيان: وهو الكتاب الثاني الذي أقرّه الإمام محمد عبده لتدريس البلاغة في الأزهر الشريف، طبعه

¹ وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية، ص 53-54.

لأول مرّة منشئ المنار في مصر عام (1320هـ) قيل أن يطبع (دلائل الإعجاز) بسنة استحضرت له نسخة أصلية من طرابلس الشام، كانت موجودة في أحد بيوت العلم قورنت بنسخة أخرى كانت موجودة في دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنية، وطبع الكتاب مرّة أخرى الأستاذ أحمد مصطفى المراغي في مصر سنة (1367هـ) أي سنة (1947م) ثم طبع في استانبول سنة (1954م).

وهدف عبد القاهر من كتابه هذا يختلف عن كتابه "دلائل الإعجاز"، ألفه عبد القاهر لغاية بلاغية بحثة وضّح فيه الأقسام والفصول ووضع القوانين وذكر الفروق بين العبارات والفنون البيانية وتناول التشبيه والإستعارة والمجاز والكناية، ثم أضاف إليها حديثاً لفروع علم البديع مثل السجع والتجنيس والتطبيق، وسار على منهجه الفكري هذا يوسف السكاكي بتقسيمه موضوعات علم البيان بأنواعه المختلفة.

وإنّ دراسته لفنون البلاغة في هذا الكتاب كانت من أروع ما كتبه، وقد استفاد من كتابه هذا كثير من الباحثين وبعض السلف أمثال القزويني في شرح التلخيص. وما يمكن أن يقال في هذا الكتاب أنّ عبد القاهر قد وضع نظرية البيان لأول مرة في تاريخ الباحثين¹.

¹ وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية، ص 54-55.

ثانيا: في الشعر:

يدلنا التاريخ القديم والتاريخ الحديث على أنه قلما يجتمع النظم والنثر لشخص واحد على طريق التقارب أو الاعتدال، فعبد القاهر الجرجاني الكاتب المؤلف ليس عبد القاهر الشاعر فإذا قيس شعره بنثره، كان ذا في النثر وذاك في النثر، وإذا ما نظرنا إلى شعره يتضح لنا صدق قولنا، فمن ذلك قوله الذي يشكو الزمان وأهله:

أَيُّ وَقْتٍ هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ قَدْ دَجَا بِالْقِيَاسِ وَالتَّشْبِيهِ.
كُلَّمَا سَارَتْ الْعُقُولُ لِكَيْ تَقَ طَعَ تَيْهًا تَوَغَّلَتْ فِي تَيْهِ.

وقوله في مدح نظام الملك الحسن بن اسحاق:

لَوْ جَاوَدَ الْغَيْثُ غَدَاً بِالْجُودِ مِنْهُ أَجْدَرَا
أَوْ قَيْسَ عُرْفُ عُرْفِهِ بِالْمِسْكِ كَانَ أَعْطَرَا
ذُو شَيْمٍ لَوْ أَنَّهَا فِي الْمَاءِ مَا تَغَيَّرَا
وَهَمُّهُ لَوْ أَنَّهَا وَلِلنَّجْمِ مَا تَغَوَّرَا
لَوْ مَسَّ عُودًا يَابِسًا أَوْ رَقَ ثَمَّ أَثْمَرَا.

وكذلك قوله:

كَبُرَ عَلَى الْعِلْمِ يَا خَلِيلِي وَمَلَّ إِلَى الْجَهْلِ مَيْلَ هَائِمٍ
وَعَشْ حِمَارًا تَعِشْ بِخَيْرٍ فَالسَّعْدُ فِي طَالِعِ الْبَهَائِمِ¹

وقوله:

لَا تَأْمَنُ الْبِعْثَةَ مِنْ شَاعِرٍ مَا دَامَ حَيًّا سَالِمًا نَاطِقًا
فَإِنَّ مَنْ يَمْدَحُكُمْ كَاذِبًا يَحْسُنُ أَنْ يَهْجُوَكُمْ صَادِقًا²

وقوله: وقد كتبه في المدخل من أوائل دلائل الإعجاز:

إِنِّي أَقُولُ مَقَالًا لَسْتُ أَخْفِيهِ وَلَسْتُ أَرْهَبُ خَصْمًا إِنْ بَدَا فِيهِ
مَا مِنْ سَبِيلٍ إِلَّا اثْبَاتٌ مُعْجَزَةٌ فِي النَّظْمِ إِلَّا بِمَا أَصْبَحْتُ أَبْذِيهِ
فَالنَّظْمُ كَلَامٌ أَنْتَ نَاطِقُهُ مَعْنَى سِوَى حُكْمٍ إِعْرَابٍ تُجْزِيهِ.

¹ القفطي: أنباه الرواة، ص 188،

² نفسه: ص 190.

³ نفسه: ص 190،

د - أقوال العلماء فيه:

لقد أعجب المؤرخون بعلمه ودينه وخلقه وأدبه، واتفقوا جميعاً على الثناء عليه فقد ترجموا له واعترفوا بفضله، فكان لا بدّ لرجل عظيم في العلم والجاه مثل عبد القاهر أن يحظى بمنزلة عظيمة، ويتصدّر مجالس الدرس والعلم في جرجان، كما لقبوه بالإمام واشتهر بالنحوي من قبل أن يضع علم البلاغة وعلى أنه كان متكّماً وفقهياً، فمثلاً وصفه الحافظ الذهبي بقوله: «كان آية في النحو، وكان شافعيّاً، عالماً أشعريّاً، ذا نسك ودين»¹

وهو «الإمام النحوي المتكلم على مذهب الأشعري، الفقيه الشافعي، واضع أسس البلاغة والمشيد لأركانها، وفتح مغلق أبوابها وكاشف خبيئها، وموضح مشكلاتها وعلى نهجه سار المؤلفون بعده، ونهلوا من معينه، واغترفوا من بحره، وأتموا البنيان الذي وضع فيه أسسه»². ويرجع صاحب هذا التعريف النجاح الباهر الذي حققه عبد القاهر إلى فضل الله عزّ وجلّ الذي أتاه من قريحة وقادة وعقل فيّاض وقلم سيّال وفكر غوّاص على دقائق المعاني التي خفيت على غيره الأحقاب الطوال.

¹ الذهبي: العقد الثمين في تراجم النحويين، تح: يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، د-ط، 2004م، ص 127-128.

² أحمد مصطفى المراغي: تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ص 100.

فعبد القاهر بما أتاه الله برع في النّحو حتى لُقّب بالإمام النّحوي، وبعد ذلك في البلاغة الذي يعتبر أحد المؤسسين لها إن لم نقل مؤسسها بوضعه أسسها وقواعدها ويقول في ذلك صاحب كتاب البحث البلاغي عند العرب: «أول من أسّس من هذا العلم قواعده وأوضح براهينه وأظهر فوائده ورتّب أفانيه الشيخ العالم النّحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني، فقد فكّ قيد الغرائب بالتقيد وهد من صور المشكلات بالتصوير المشيد وفتح أزهارها من أكمّامها وفتق أزراره بعد استغلاقتها واستبهاّمها فجزاه الله عن الإسلام أفضل الجزاء وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والإجزاء»¹

ووصفه فضل حسن عبّاس بقوله: «شيخ البلاغة، جامع شتاتها، وعميد بُناتها، ومزيّن بُناتها»². فهو يعتبر بحق شيخ البلاغة لأنّه واضع أساسها الصّحيح بكتابه " دلائل الإعجاز " و " أسرار البلاغة ".

ويقول شوقي ضيف في مقدمة كتابه: «وتزدهر هذه المباحث وتونق وتؤتي ثمارها اليانعة على يد عبد القاهر إذ استطاع بعبقريته الفذة أن يضع علمي المعاني والبيان وضعا دقيقا، وقد استضاء في أولهما بفكرة القاضي عبد الجبار، فإذا هو يستكشف لأول مرة هذا

¹ أحمد مطلوب: البحث البلاغي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، 1982م، ص 67-68.

² فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط 04، 1417هـ-1997م، ص 19.

العلم وإذا هو يصوغه صياغة تنبض بالحياة، ومضى يجمع ملاحظات سابقه في علم البيان وأخضعهما لضرب التحليل العقلي والنفسي البصير، وسوّى منها نظرية مرتبة مفصلة تضم أجزائها المتفرقة وتصور دقائقها الغامضة.¹

يفهم من خلال هذا القول أنّ البلاغة نضجت وازدهرت على يد عبد القاهر الذي استفاد ممّن سبقه في هذا العلم من أمثال عبد الجبار صاحب الفكرة التي انطلق منها عبد القاهر والتي تقول بأنّ الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم يكمن في الأداء والأسلوب والنسب النحوية للكلام، واضعا فيها عبد القاهر لمستته الذوافة بمنهجه المتفرد عن غيره وهو منهج يعتمد فيه على التحليل العقلي والنفسي الذي أنتج نظرية عصره وهي نظرية النظم. ويقول محقق " أسرار البلاغة" في مقدمته بأن: " ما كتبه عبد القاهر سوف يبقى بإذن الله نبراسا وسراجا منيرا لكل من يسرّ له الله الإخلاص والهمة والسعي المصّر في طلب الكشف عن بلاغة الألسنة البشرية علما واللسان العربي المبين خاصة، وكل من دبّ على الدرب وصل بتوفيق الله وعونه، والجّد خليفة تفضي إلى مستقر السعادة في الدنيا والآخرة."²

وشبه ما فعله عبد القاهر في أسرار بلاغته ودلائل إعجازه كمثل ابن خلدون في مقدمته والسلطان العثماني في قوانينه.

¹ شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط09، 1965م، ص 02.

² عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ص04.

وأيضاً قول السلفي سماعاً عن أبا محمد الأبيوري - في معنى قول - بأنه ما مقلت عينه لغويا وأما في النحو فعبد القاهر الجرجاني، وهذه حوصلة أقوال العلماء فيه:

- اتفقوا على إمامته وأنه فرد في علمه الغزير وهو العلم الفرد في الأئمة المشاهير.
- أنه من كبار أئمة العربية وشيوخها، ومن علماء المعاني والبيان وأول من دون علم البيان.
- أنه مقصد العلماء من جميع الجهات.
- أنه متدين ورع قنوع، دخل عليه لصّ وهو في الصلاة فأخذ ما وجد وهو ينظر ولم يقطع صلاته.

ثانيا: كتابه دلائل الإعجاز:

أ- سبب التسمية:

يقول صاحب مقاييس اللغة: « الدّالّ واللام أصلان أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلّمها والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم: دلّلتُ فلانا على الطريق والدليل الإمارة في الشيء، وهو بين الدلالة والدلالة، والأصل الآخر قولهم تدلّلت الشيء إذا اضطرب »¹. والدليل في اللغة هو المرشد وما به الإرشاد، وفي الإصطلاح هو الذي يلزم من العلم بشيء آخر. والإعجاز في الكلام هو أن يؤدّي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عاداه من الطرق. ودمج الكلمتين بعضها إلى بعض نخلص إلى أنّ عبد القاهر أراد بهذه التسمية "دلائل الإعجاز" تبين الوجه الذي يقع فيه الإعجاز في القرآن الكريم.

ويقول صاحب كتاب مدخل إلى البلاغة العربية أنّه: « يتّضح من عنوان الكتاب أنّ المؤلف يستهدف البحث في الدلائل والخصائص الموضوعية التي تكشف عن الإعجاز القرآني »². فوجه الإعجاز القرآني حسب عبد القاهر يكمن في النظم، فتعتبر نظرية النظم أكبر القضايا المتناولة في كتابه "دلائل الإعجاز" فالنظم هو البوتقة التي تتصهر فيها الكلمات المفردة وتتداخل معانيها حتى تصبح معنى واحد لا عدّة معاني، كما أنّه المحور الأساسي

¹ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج 02،

1499هـ-1979م، ص 260.

² يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة، عمان، ط 01، 1427هـ-2007م، ص 36.

الذي تدور حوله البلاغة لأنّ الكلام وحدة شاملة يستند بعضه بعضاً، فلو أزلنا لفظاً عن مكانه من القمة إلى القاعدة، بالإضافة إلى أنّ هذه النظرية تقوم على الأسس العلمية والحجج الدامغة.

ب- السبب في تأليفه والهدف منه:

كان الضعف بدأ يدبّ في أوصال اللّغة العربية، حيث كان الوقوف عند ظواهر قوانين النحو ومدلول الألفاظ المفردة والجمل المركّبة والإنصراف عن معاني الأساليب السبب الذي جعل عبد القاهر يضع كتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" لتكون بداية مرحلة جديدة هي فهم اللّغة.

وقد أشار محقق دلائل الإعجاز في مقدّمة الكتاب إلى السبب أو الأسباب التي جعلت عبد القاهر الجرجاني يؤلّف الكتاب، فقد كان يريد بكتابه هذا أن يؤسس علماً جديداً استدركه على من سبقه من الإئمة الذين كتبوا في البلاغة و في إعجاز القرآن. وكذلك قوله - في معنى القول- بأنّ عبد القاهر منذ بداية شقّ طريق العلم الجديد الذي أسّسه.

- يعني به علم البلاغة- كان همّه نقد كلام القاضي عبد الجبار في "الفصاحة" والكشف عن فساد أقواله في مسألة "اللفظ" ثمّ بيّن عبد القاهر سبب تأليفه لكتابه بقوله: «إنّ التوق إلى أن تقرّ الأمور قرارها وتوضع الأشياء مواضعها والنزاع إلى بيان ما يشكّل، وحلّ ما ينعقد والكشف عما يخفى وتلخيص الصّرفة حتى يزداد السامع ثقة بالحجة واستظهار

على الشبهة، واستبانة للدليل تبيناً للسبيل شيء في سوس العقل وفي طباع النفس إذا كانت نفساً¹.

كما يظهر حديث مصطفى ناصف عن خلفيات التأليف عند الجرجاني إذ يربطه بالدواعي الدينية والتي عكستها بعض الآراء السائدة في عصر عبد القاهر الجرجاني فيقول: «لاحظ عبد القاهر أنّ الصّرفة لقيت بعض الرّواج في عصره من مثل كلام محمّد بن حزم الظاهري وابن سنان الخفاجي...»². وهكذا يظهر مفهوم الصّرفة من بين ما دفع الجرجاني نحو تأليف من أجل إظهار رفضه له ولأنصاره.

ويذكر عبد المتعال الصعيدي: « أنّ هذا العلم لقي من الضيّم ما لقي ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل، فأراد أن يوفيه حقّه ويقرّر تقريراً يليق به فوضع فيه هذين الكتابين »³.

هذه الأسباب وغيرها من الأسباب جعلت عبد القاهر يكون في عجلة من أمره في تأليف كتابه الذي لم يخضع للتبويب والتقسيم والتصنيف. هذا ما سنتطرق له لاحقاً في منهجية الكتاب.

¹ الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 34.

² مصطفى ناصف: نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، ص 28.

³ عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب ومطبعها، ج 01، ص 02. (في تقديم الشارح).

ب-1- الهدف منه:

سعى عبد القاهر في هذا الكتاب إلى إثبات أنّ بلاغة الكلام تكون في نظمه وأنّ القرآن معجز بنظمه لا بالصّرفة وأنّ بلاغة الكلام لا ترجع إلى الألفاظ، وإنما إلى المعاني وإلى العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، وقد جمع في هذا الكتاب بين النزعتين العلمية والأدبية.¹

فعبد القاهر يرى أنّ بلاغة الكلام في القرآن الكريم تكمن في نظمه لا بالصّرفة التي تعدّ من بين المفاهيم التي أوجدها المعتزلة، وقد ردّوا من خلاله بلاغة النصّ القرآني إلى صرف الله الناس عن المجيء بمثل هذا النص، وهذا ما نفاه عبد القاهر داحضا رأيهم بحجة القرآن بنظمه وتأليفه وهذا ما يتضح من خلال قوله: «إنّ الوجه الذي وقع به الإعجاز، وتحذوا به العرب هو الإتيان بمثل نظم القرآن الكريم»². فمن وجهة نظر صاحب هذا القول أنّ عبد القاهر حاول إظهار الزاوية التي أثبت فيها إعجاز القرآن والمتمثلة في الجانب اللساني الأسلوبي مخالفا الطريقة المتبعة من قبل المتكلمين والمناطق.

ويعتبر «الأساس الديني هو الحافز لعبد القاهر على أن يكتب ما كتب من هذه البحوث

¹ وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية، ص 54.

² الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 81.

البلاغية التي شرح بها نظريته في النظم، ودعمها في كتابه "دلائل الإعجاز" أولاً ثم في كتابه "أسرار البلاغة" ثانياً، فعبد القاهر في بحوثه البلاغية كان رجل دين قبل أن يكون باحثاً بلاغياً وهو لم يكتب في البلاغة لذاتها، وإنما كتب ما كتب خدمة لعقيدة دينية ورغبة في أن يفهم الناس إعجاز القرآن كما ينبغي أن يفهم في رأيه¹. والهدف من تأليف عبد القاهر من خلال هذا القول هو بيان إعجاز القرآن كما فهمه هو ومفهومه هو أن إعجاز القرآن في نظمه والذي يريد أن يثبت في أذهان المسلمين والذي: "يراه هو الصراط السوي الذي ينبغي أن يسلك في فهم إعجاز القرآن"². فقد بدل كل جهده لتوصيل مفهومه لإعجاز القرآن للمسلمين، مستهجنا كثيراً من الناس الذين:

"حصرُوا علم البيان الذي يساعد على إدراك الإعجاز في علم اللغة وزاد الأمر سوءاً أن انتهى الحال بهم إلى أن زهدوا في النحو وفي الشعر كذلك وهو أن يرى أن هذين - النحو والشعر - هما الدعامتان اللتان استند إليهما علم البيان"³.

من خلال كل ما تقدم يتضح لنا أن هدف عبد القاهر من خلال تأليفه لدلائل الإعجاز

¹ درويش الجندي: نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم، مكتبة نهضة، القاهرة، مصر، 1960م، ص 08.

² نفسه: ص 08.

³ نفسه: ص 10

هدف ديني محض والمتمثل في بيان الإعجاز في القرآن الكريم، إذن فمادته الأولى هي القرآن داحضا بذلك آراء معارضية الذين حصروا علم البيان في علم اللغة، ومن ثم كان زهدهم في النحو والشعر اللذان يعتبرهما عبد القاهر دعامتان يستند إليهما علم البيان.

ج- مباحثه:

كتاب "دلائل الإعجاز" كتاب عظيم القدر وجليل الفائدة ولكن مشاكله متعددة وفيه صعوبة واضحة للدارسين منها: أنه ألف هذا الكتاب بدون تبويب وتقسيم وتصنيف ميسور، وقد أشار إليه محقق الكتاب في مقدمته: «كان غريبا عندي أشد الغرابة أنه لم يسر في بناء كتابه سيرة من يؤسس علما جديدا كالذي فعله سيويه في كتابه العظيم أو ما فعله أبو الفتح ابن جني في كتابه "الخصائص" أو كالذي فعله عبد القادر نفسه في كتاب "أسرار البلاغة"، بل كان عمله ويؤسس هذا العلم الجديد مشوبا بحمّية جارفة لا تعرف الأناة في التبويب والتقسيم والتصنيف، وكأنّه كان في عجلة من أمره وكأنّ منازعا كان ينازعه عند كل فكرة يريد أن يجليها ببراعته وذكائه وسرعة لمحّه، وبقوة حجته ومضاء رأيه¹.

¹ الجرجاني: دلائل الإعجاز، مقدمة الكتاب، ص أ.

ويرجع السبب في ذلك إلى أنه كتب كتابه هذا في أواخر حياته، وأنه كان سيعيد النظر فيه فيجعله في علم جديد اهتدى إليه واستدركه على من سبقه، ولكن اخترمته المنية قبل أن يحقق ما أراد، وكذلك يرجع ذلك إلى العجلة في أمر ما جعلته يبني كتابه هذا البناء العجيب وهذا الأمر في اعتقاده أن طائفة من المعتزلة من أهل العلم في بلده جرجان وفي زمانه كان لهم شغف ولجاجة وشغب وجدال ومناظرة في مسألة "إعجاز القرآن" واتكئوا في جدالهم على أقوال القاضي عبد الجبار

التي جاءت في كتابه "المغني" وشققوا الكلام فيها فعبد القاهر مستهجن من أهل زمانه خاصة قاضي القضاة المعتزلي عبد الجبار ويظهر ذلك من خلال قوله: «ثم إن وإن كنا في زمان هو على ما هو عليه من إحالة الأمور عن جهاتها وتحويل الأشياء عن حالاتها ونقل النفوس عن طبائعها وقلب الخلائق المحمودة إلى أضدادها»¹.

كل هذه الأمور جعلت عبد القاهر يبني كتابه هذا البناء العجيب الذي يفتقد إلى الهيئة الشكلية والمنهجية فهو كتاب لا يخضع للتبويب والتقسيم والتصنيف.

د - منهجيته:

ينتمي عبد القاهر إلى بيئة ثقافية شرقية تتسم بكل السمات التي تميز المنهج الفكري في بيئة المتكلمين من ميل نحو تداخل الأشياء والدقة في تتبع الجزئيات داخل نسيج

¹ الجرجاني: دلائل الإعجاز، مقدمة الكتاب، ص أ.

يخضع للتوالد المنطقي المنتظم وهذا لا يخرج عن ركائز المذهب الأشعري الذي ينتمي إلى هذه البيئة ممّا جعله أكثر جريا وراء الجمال الذي يحكمه العقل والمنطق والحجة والبرهان وليس أكثر حجّة ودلالة على جمالية اللّغة وبيانها من الأدلّة اللغوية والدلالية في توجّهاتها المختلفة¹. وقد امتاز بدقة الرويّة وصواب المنهج ممّا ساعده على تناول قضية الإعجاز القرآني من خلال بحثه في النّظم بعد أن استقطب جميع جوانبه لتصبح نظرية لا تزال الدراسات تؤكّد صحتها على مرّ العصور ولم يكن له ذلك إلّا لأنّه امتلك خبرة لغوية نحوية قائمة على رؤية صائبة بقضايا لا تزال موضع بحث فكانت هذه الخبرة أساسا سليما مهّد لمنهج سليم مكّنه من التوصل إلى أعظم النتائج.

وقد اختلف الباحثون في المنهج الذي اتبعه في كتابه، فهناك من يقول أنّه منهج لغوي تحليلي قامت على أساسه نظرة الجرجاني إلى الظواهر البلاغية، وهناك من يطلق عليه المنهج التحليلي الفني باعتباره منهج يمزج بين القاعدة والذوق الفني، ويزاوج بين النظرية و التطبيق بحيث لا يطغى فيها أحدهما على الآخر طغيانا بيّنا وذروة اكتمال أدوات هذا المنهج تظهر خلال: "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" وهذان الأخيران يمثلان في نظر باحثين آخرين منهج عبد القاهر الأدبي النقدي.

¹ البدرائي زهران: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني، دار المعارف، القاهرة، ط 03، 1984م، ص 18

ثالثاً: الفصاحة والبلاغة كما يراها عبد القاهر الجرجاني:

استهل الجرجاني حديثه في الفصول الأولى من كتاب دلائل الإعجاز عن قضية الفصاحة والبلاغة ، كما أنه ختم الكتاب بفصول طويلة تحدّث فيها عن البلاغة والفصاحة والإعجاز وبذلك تظهر هذه القضية ذات أهمية بالغة في كتابه إن لم نقل أنها عموده الرئيسي ، ومن الملاحظ أنه قام بربطها في غالب الأحيان بأمثلة من القرآن الكريم لأنّ أول ما تحدّى به العرب هو الإتيان بنص فصيح معجز مثله.

يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني أنّ الفصاحة والبلاغة والبيان والبراع وما شابه ذلك ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات وإنما يوصف بها الكلام بعد تحري معاني النحو فيما بين الكلمة حسب الأغراض التي يصاغ بها ، فقد ربط الفصاحة والبلاغة بالكلام والممارسة وعلاقته.

بالأغراض والمقاصد وهذا ما عنون به أحد فصول كتابه إذ يقول: « في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك ، ممّا يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلّموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم »¹

¹ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 43 .

ويظهر من خلال هذه الفقرة التوجه الجديد الذي صاحب نظرة الجرجاني إلى ثنائية الفصاحة والبلاغة إذ ربطتهما بالسياق وما به يحصل النظم في الكلام ممّا يؤدي إلى إنجاز الأغراض والمقاصد فيه وفي ذلك إشارة منه إلى دور السياق في نشوء التأليف بين الملفوظات وما به تتحقق الفصاحة و البلاغة في الكلام عن طريق الصياغة التي يتفرد بها المتكلم، ممّا يجسد حضوره في قوله، وهنا تظهر الذاتية في الخطاب نظرا لتعلق استعمال اللغة بالمتكلم دون واضع اللغة، وهذا ما ألحّ عليه الجرجاني بقوله:

«نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير»¹

إنّ الأداء الذي يجعل المتكلم ممتلكا للغة في الاستعمال يكسب القول مزية في التواصل وإيصاله إلى درجة الفهم و الإفهام، يقول الجرجاني عن المزية : «المزية التي من أجلها نصِفُ اللفظ في شأننا هذا بأنه فصيحٌ مزية تحدث من بعد أن لا تكون وتظهر في الكلم من بعد أن يدخلها النظم . وهذا شيءٌ إن أنت طلبته فيها وقد جئت بها أفرادا لم ترمُ فيها نظاماً ولم تحدث لها تأليفاً طلبت محالاً وإذا كان كذلك وجب أن يُعلم قطعاً وضرورة أن تلك المزية في المعنى دون اللفظ »². ترتبط الفصاحة والبلاغة بالمتكلم فتظهر فصاحة المتكلم في «ملكة

¹ الجرجاني: دلائل الإعجاز ، ص401 .

² نفسه: ص401 .

يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح وهذا ما يجعل الحديث في ذلك متوقفاً على

النظر في القدرة التي يتمتع بها المتكلم مادام الأمر راجع إلى ملكة يقتدر بها»¹

وقد تدارك الجرجاني الخطأ الذي وقع فيه أنصار اللفظ في تقييدهم للفصاحة من جهة اللفظ

دون المعنى ، وذلك يظهر في المزية التي أحدثها للفصاحة من جهة المعنى وهذا المعنى إنما

يكون معنى المتكلم فهو الذي ينشئه انطلاقاً من المعاني النفسية ليقوم بصياغتها في مرحلة

ثانية عبر بنية قولية تظهر في النظم الذي يتوخى فيه معاني النحو بين الكلم.

ومن هذا نقرّ بأنّ الجرجاني- كما أقرّ هو نفسه - ربط مزية الفصاحة بمعنى المتكلم دون

واضع اللغة وفي ذلك يقول: « قد علمنا علماً لا تعترض معه شبهة أنّ الفصاحة فيما نحن

منه عبارة عن مزية هي بالمتكلم دون واطع اللغة .»²

ويذهب نصر حامد أبو زيد في رأيه عن الجرجاني إلى أنّ هذا الأخير يقوم على تصور

أسبقية المعاني الذهنية على الدلالات الصوتية، فالمعاني تعرف أولاً ثم يتواضع أهل اللغة

على الأصوات للدلالة على تلك المعاني الذهنية.

¹ القزويني: الايضاح في علوم البلاغة، شرح و تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت . ط .

19805 م.ص 72.

² الجرجاني: دلائل الاعجاز ، ص401 .

يظهر لنا أن هناك إشارة من الجرجاني إلى الفكر واللغة فعن طريق الفكر تتولد المعاني. لقد تفتن الجرجاني إلى الإنجاز الذي يتعلّق بالمتكلم وذلك من منطلق استعماله للغة المتواضع عليها استعمالاً يجعله ينطلق من المعنى كبنية داخلية ويعتبرها معاني نفسية تخرج إلى السطح في هيئة منظومية تظهر في تعلّق الكلم بعضها ببعض ، ومن ذلك تحصل مزية الفصاحة في القول بخروجه من سطحيات اللفظ إلى أعماق المعنى هذا الأخير الذي ينطلق من أعماق النفس باعتبارها منشأ القول ، ونستشهد بنص طويل للجرجاني يتبيّن فيه كيف أنّ المتكلم لا يخرج عن أوضاع اللغة المتعارف عليها ولكنه يتفرد بخصوصية النظم الذي يجعله يتفرد بالمعاني التي تكسب القول مزية الفصاحة فيقول: «وإذا كان كذلك فينبغي لنا أن ننظر إلى المتكلم هل يستطيع أن يزيد من عند نفسه في اللفظ شيئاً ليس هو له في اللغة حتى يجعل ذلك من صنيعه مزية يعبر عنها بالفصاحة ؟ وإذا نظرنا وجدناه لا يستطيع أن يصنع باللفظ شيئاً أصيلاً ، ولا أن يحدث فيها وصفاً - كيف ؟ وهو إن فعل ذلك أفسد على نفسه وأبطل أن يكون متكلماً لأنّه لا يكون متكلماً حتى يستعمل أوضاع لغة على ما وضعت عليه وإذا ثبت من حال أنّه لا يستطيع أن يصنع من الألفاظ شيئاً ليس هو له في اللغة، وكنا قد اجتمعنا على أنّ الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مزية هي المتكلم البتة وجب أن نعلم قطعاً وضرورة أنهم وإن كانوا قد جعلوا الفصاحة في ظاهر الاستعمال من صفة اللفظ فإنهم لم يجعلوها وصفاً له في نفسه ومن حيث هو صدى صوت ونطق لسان ، ولكنهم جعلوها عبارة عن مزية أفادها المتكلم في المعنى بأنّه إذا كان اتفاقاً، ولم نره في اللفظ شيئاً لم

يبقى إلا أن تكون عبارة عن مزية أفادها في المعنى.¹ وما يمكن ملاحظته أيضا عن كلام الجرجاني أنه ربط معنى المتكلم بالإفادة لأنّ النظم الذي يقوم على المعنى أكيد أنه سيؤدي فائدة من المتكلم إلى المخاطب.

ونجد الجرجاني في موضع آخر يؤكد هذا الرأي في أهمية النظم لحصول الفائدة من القول وذلك التأكيد انطلق فيه من رأي معارضيّه (أنصار اللفظ) والذي يرى فيها تناقضا بين الرأي الظاهر والخفي و ذلك من خلال قولهم: « أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة.² ويوضح الجرجاني التناقض الذي وقعوا فيه :«فقولهم بالضم لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما»³.

وضرب لنا مثلا يوضح هذا القول فمثلا لو صحّ قوله هذا بضمّ اللفظة إلى اللفظة بإبعادهم المعنى لصحّ ضمّ كلمتا " خرج " و "ضحك " وعددناهما نظاما فصيحاً فإذا بطل ذلك بطل قولهم.

وقولهم على طريقة مخصوصة كذلك يستند على اللفظ والمعنى معا «فإذا أنت تأملتهم تراهم

¹ الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 402 .

² نفسه: ص 394 .

³ نفسه: ص 394 .

في الجمع قد دفعوا إلى جعل المزيّة في معاني النّحو وأحكامه من حيث لم يشعروا ، ذلك لأنّه أمر ضروري لا يمكن الخروج منه ¹.

ويظهر عامل السياق بين الألفاظ ذا أهمية في بلوغ المعنى في حين تتبعها الجرجاني محاولاً الكشف عن مضمرات كلامهم التي أغفلوا قيمتها.

وترجع الأقوال السابقة التي لخصها عبد القاهر إلى القاضي عبد الجبار، هذا الأخير الذي قال كذلك: « إنّ المعاني لا تتزايد وإنّما تتزايد الألفاظ » ². وقد عاب عليه عبد القاهر قوله بقوله: « وهذا الكلام إذا تأملته لم تجد له معنى يصح عليه ، غير أن تجعل (تزايد الألفاظ) عبارة عن المزايا التي تحدث من توخي معاني النّحو وأحكامه فيما بين الكلم لأنّ التزايد في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ونطق لسان محال » ³.

كما ربط الفصاحة بالمتكلم والكلام ، فمن جهة ارتباطهما بالمتكلم يظهر قول الجرجاني عنها أنّ: « الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مزيّة هي بالمتكلم البتة » ⁴.

فهو الواضع للمعنى في الكلام بحسب استعماله للغة وأمّا ارتباط الفصاحة بالكلام ففيه تحدث وبه تكون بارزة التفاعل الذي يكسبه النّظم للألفاظ لتحقيق المعاني وبذلك فهي مرتبطة

¹ الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص 395 .

² نفسه: ص 395 .

³ نفسه : ص 395 .

⁴ نفسه ، ص 302 .

بالمعنى دون اللفظ وما هذا الأخير إلا واسطة للوصول إليها. وقد قسم الجرجاني الكلام الفصيح قسمين: قسم تعزى المزية فيه والحسن إلى اللفظ وقسم يتحرى فيه إلى النظم: «فالقسم الأول " الكناية " و " الاستعارة " و " التمثيل الكائن على حدّ " الاستعارة "، وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر فما من ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذا وقع على الصواب وعلى ما ينبغي أوجب الفضل والمزية»¹. وضرب لنا أمثلة فمثلاً قولنا: " هو كثير رماد القدر " كان له موقع وحظ من القبول لا يكون في قولنا: " هو كثير القرى والضيافة " وكذلك قولنا: " هو طويل النّ جاد " أفضل من قولنا هو " طويل القامة " فالوصف في العبارة الأولى له تأثير في النّفس أكثر من الوصف في العبارة الثانية أو أبلغ منه ويقول بأنّ من لا يؤمن بهذه المزية إلا عديم الحسّميّ ت النفس ثم يرجع يشرح المثال الأول " هو كثير رماد القدر " فيقول أنّ من خلال قولنا " هو كثير رماد القدر " وعرفنا أنهم أرادوا كثير القرى و الضيافة، لكننا لم نعرف ذلك من خلال اللفظ، بل إنّنا عرفناه من خلال أنفسنا فالعرب عندما تمدح أحدا مضيافاً تصفه بهته الصفة فكثرة الرماد تدل على نصيب القدور الكثيرة و هذه القدور فيها طعام القرى و الضياف، وذلك أنّه إذا كثر الطبخ في القدور كثر إحراق الحطب الذي ينتج عنه كثرة الرماد لا محالة.

فالفصاحة تقع في الكلام و الكلام هو ممارسة اللّغة في الاستعمال، وهذا ما يؤكّد فرضية

¹ الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص 430 .

الجرجاني حين تنبّه إلى أنّ الفصاحة لا تقع في أوضاع اللّغة، وإنّما تكون عن طريق المعاني التي تنطلق من المعاني النفسية للمتكلّم، وتمر عبر بنية منجزة هي الكلام، وكأنّ هناك سيرورة بين اللّغة والمعنى و المتكلّم و الكلام، وبما أنّ كل خطاب مؤلف من كلمات لغوية فإنّ اللّغة التي هي أداة للتواصل بين الناس وللتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم هي التي ينبغي أن تخضع للتأويل. وبذلك فإنّ النظر في الفصاحة (فصاحة اللفظ) يكون من جهة موقعه في الكلام و تفاعله في سياق النظم، ومن هنا نفى عبد القاهر أن تكون الفصاحة صفة في اللفظ محسوسة «لأنها لو كانت كذلك لكان ينبغي أن يستوي السامعون للفظ الفصيح في العلم يكونه فصيحاً وإذا بطل أن تكون محسوسة، وجب الحكم بكونها صفة معقولة، فإنّ لا نعرف للفظ صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس إلا دلالاته على معنى، وإذا كان كذلك لزم منه العلم بأنّ وصفنا اللفظ بالفصاحة وصف له من جهة معناه، لا من جهة نفسه، وهذا ما لا يبقى لعامل معه عذر في الشك»¹.

وهذا لا يعني أنّ الجرجاني قد ألغى "فصاحة اللفظ" إطلاقاً، فقد اعترف له ببعض المزيّة في مواطن قليلة، ومن الأدلة التي ساقها أنّ القول بفصاحة اللفظ في ذاته يقتضي من جهة العقل :
« وأن تكون تلك الفصاحة واجبة لها بكلّ حال »²

¹ الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص 407 .

² نفسه: ص 307 .

وَأَلَا تَتَغَيَّرُ قِيَمَةُ اللَّفْظِ الْفَنِّيَّةُ بِتَغْيِيرِ السِّيَاقِ الَّذِي تَرِدُ فِيهِ فِي حِينَ أَنْ نَفْسَ الْكَلِمَةِ تَرُوقُكَ وَتَوْنُسُكَ فِي مَوْضِعٍ، ثُمَّ تَرَاهَا بَعِينَهَا تَنْقَلُ عَلَيْكَ وَتُوحِشُكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ. ¹

وقد حاول تأكيد حكمه بالاعتماد على شواهد شعرية تكررت فيها نفس الكلمة مع فارق في التأثير «إلا أن أحكامه جاءت انطباعية لا تستند إلى معطيات ملموسة، والأرجح أنه اهتدى فيها بآراء النقاد السابقين». ²

ومثال ذلك لفظ "الأخدع" فإن لها في قول البحتري:

إِنِّي وَ إِن بَلَعْتَنِي شَرَفَ الْعَلَا وَاعْتَقْتُ مِنْ ذَلِ الْمَطَالَعِ اخْذَعِي ³(الطويل)

ما لا يخفى من الحسن، أمّا في بيت أبي تمام:

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْذَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ ⁴ (المنسرح)

فلها من الثقل على النفس والتنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة

و الإيناس و البهجة. ومما قدمه كمثال عن قمة الفصاحة في النظم والمعنى أن الفصاحة

الواردة في قوله تعالى: ﴿و اشْتَغَلِ الرَّأْسَ شَيْبًا﴾ [مريم — 4]، تكون من بعد انتهاء الكلام

على آخره، ولا تقصر على اللفظ المفرد "اشتغل"

¹ الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص34.

² حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه و تطوره إلى القرن السادس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1981 م. ص467.

³ البحتري: ديوان البحتري، "المجلد الأول"، دار صادر، بيروت. ص106.

⁴ أبو تمام: ديوان أبي تمام، ضبط و شرح، شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3. 1424هـ. 2003م. ص198.

وقد اتبع الجرجاني في انتصاره لمزية الفصاحة في التركيب أسلوب الاستدلال وهو الإتيان بحجة الخصم ثم دحضها بحججه، فيظهر تحليله للآية " وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا " تركيزه جهة الفصاحة على أثر السياق في الآية مع الألفاظ المجاورة لها «فإذا قلنا في لفظ " اشتعل " من قوله تعالى " واشتعل الرأس شيبا " أنها في أعلى رتبة الفصاحة لم توجب تلك الفصاحة لوحدها ولكن موصولا بها الرأس معرف بالآلف واللام ومقرونا إليهما (الشيب) منكر منصوبا»¹

ربط الجرجاني الفصاحة بأمور معنوية تظهر هيئة الضم والتأليف بين الألفاظ وأنه تأليف متعلق بقصد المتكلم.

وفي ذلك حلل عبد القاهر نماذج من القرآن والشعر يبين هيئة الفصاحة من جهة الرابط المعنوي والذي يظهر في معاني النحو بتعلقها بالقصد، ففي تحليله للآية { يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدّ و فاحذرهم } أشار إلى الأمور المعنوية التي أدت إلى الفصاحة في الآية فيقول: «وسبب الفصاحة فيها أمور لا يشك عاقل في أنها معنوية : أولها أن كانت (على) فيها متعلقة

¹ الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 403.402 .

بمحذوف في موضع المفعول به الثاني، والثاني: أن كانت الجملة والتي هي هم (العدو) بعدها عارية من حرف العطف، والثالث: التعريف في (العدو) وأن لم يقل (هم عدو) ولو أنك علقت (على) بظاهر وأدخلت على الجملة التي هي هم (العدو) حرف العطف وأسقطت (الألف واللام) من (العدو) فقلت: يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وهم عدو لرأيت الفصاحة قد ذهبت عنها بأسرها، ولو أنك أخطرت ببالك أن يكون (عليهم) متعلقة بنفس الصيحة ويكون حاله معها كحالها إذا قلت (صحت عليه) لأخرجته عن أن يكون كلاما فضلا عن أن يكون فصيحاً، وهذا الفيصل لمن عقل»¹.

يتضح من خلال هذا القول أهمية معاني النحو في نشوء فصاحة القول، وجعله في زمرة الكلام وفي ذلك يؤكد عبد القاهر على أنه ليس كل ما يقال يحمل على سمة الكلام وإنما اشترط فيه الفصاحة، وهي تنجز بتوخي معاني النحو وحصول النظم، وبذلك يكون الجرجاني قد أدرك أهمية الاتساق النصي وهو يدخل ضمن الدرس اللساني المعاصر في مجال اللسانيات النصية والاتساق يظهر في روابط نصية تكون ظاهرة كما تكون معنوية تساهم في نصية النص، هذا التعليق الوارد في القول والذي يكسبه فصاحة وبلاغة وإنما يكون بفعل حضور المعنى النحوي وهو معنى يستدعي نشاطاً ذهنياً لدى طرفي التخاطب.

¹ الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص 403.404.

الفتنة

ونختم بحثنا بذكر جملة من النتائج التي توصلنا إليها :

— الفصاحة والبلاغة ، لكل منهما معنى تختص به ، وأن إحداها أعم من الأخرى فليس كل فصيح بليغا ، ولا يكون البليغ إلا فصيحاً .

— أن الفصاحة ملكة تهذبها الصنعة؛ وإنما تتهذب بتهذيب الألفاظ ، فتسلم مفرداتها من الغرابة والتنافر ، تخلّص عباراتها من الغموض والتعقيد وضعف التأليف .

— أن الفصيح من الألفاظ والتراكيب ليس رتبة واحدة، بل هناك الفصيح والأفصح وتفاوت الناس في الفصاحة بحسب تفاوتهم في درك ذلك .

— أن البلاغة هي وصول المتكلم بعبارته كنه مراده مع إيجاز بلا إخلال وإطالة من غير إملال . وأنها تكون في الكلام بمطابقة فصيحته لمقتضى الحال

— أن البلاغة في الكلام مرجعها إلى ثلاثة أشياء : الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وهو المصطلح عليه : بعلم المعاني . وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره ، وهو المصطلح عليه : بعلم البيان . وإلى ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته ، وهو علم البديع .

— أن البلاغة ميدان لا يقطع إلا بسوابق الأذهان، ولا يسلك إلا ببصائر البيان فمن رامها فليُعن بحفظ كتاب الله تعالى وما قدر عليه من الحديث النبوي الشريف وتمارين النفس على حل محفظها من الشعر، وسبكها في قالب النثر.

— اختلاف تقسيم أنواع الفصاحة عند المتقدمين و المتأخرين ، فالمتقدمون كابن سنان

الخفاجي قسمها قسمين : مفرد و مركب ، أمّا المتأخرون أمثال القزويني فقسموها إلى ثلاثة أقسام : فصاحة الكلمة المفردة ، فصاحة الكلام ، فصاحة المتكلم.

— حاول عبد القاهر الجرجاني منذ بداية كتاب " دلائل الإعجاز " أن يبيّن موقفه من الفصاحة ومقاييسها ، ولم يكتف بعرض آرائه الخاصة ، بل تصدى لنقد كل آراء من سبقوه سواء كانت آراء اللّغويين أو آراء المتكلمين ، ويمكن إجمال نظرته إلى الفصاحة والبلاغة في النقاط التالية:

— عبد القاهر الجرجاني أول من استخدم مصطلح الفصاحة ، وبالرغم من جعلها علما إلا أنه رفض أن يكون لها مقياس محدّد ، بل يحتاج فيها إلى تحقيق وتدقيق بتفصيل القول فيها لا وبوضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم.

— يرى عبد القاهر أنّ الألفاظ خدم وتبع للمعاني لأنّها تدرك بالفعل لا بالسمع ، وعلى ذلك فإنّ المعنى أحد مقاييس الفصاحة عند عبد القاهر الجرجاني.

— عبد القاهر لا يفصل بين مفهومي الفصاحة و البلاغة وما شاكل ذلك.

— عبد القاهر لا ينكر فصاحة اللفظ ، بل يعتبر أنّ صحة المعنى لا تتأتى إلا باختيار اللفظ الملائم له.

— ربط عبد القاهر " الفصاحة " بالمتكلم والكلام.

— الجرجاني يركّز على دور المتكلم في بناء الجملة ، إذ نجده يتناول النّظم من حيث هو عمل لغوي ، صادر عن المتكلم ، ولهذا جعل نقطة الانطلاق في دراسة بناء الجملة — من المعنى لا المبنى.

— الجرجاني يردّ مزية الفصاحة في الكلام إلى المتكلم لا إلى واضع اللّغة.

— ردّ الجرجاني الفصاحة من جهة الكلام ، باعتبار هذا الأخير يتجسّد في طريقة نظمه لهذا فإن الاهتمام بالنّظم و رعايته هو السبيل إلى حصول الإقناع في القول أو الخطاب عامّة وهذا ما سعى إلى تبيانه من خلال التطرق إلى الإعجاز في القرآن من جهة نظمه ، وهو ما أكسب النّص القرآني أعلى درجات البلاغة و الفصاحة ، فاقت قدرات العرب بالرغم من كونهم قوم فصحاء بلغاء.

— بلاغة الكلام وفصاحته تلتقي تماما مع فكرة النظم لعبد القاهر الجرجاني.

— البلاغة والفصاحة عند الجرجاني لا ترجعان إلى اللفظ وإنما إلى النظم.

— أن الفصاحة في اللغة هي البيان والظهور ضد اللبس والغموض أما البلاغة هي الوصول والإنهاء .

• الحمد لله تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وعلى آله

وصحبه وأزواجه نسأل المولى _عزوجل جلاله_ أن يكلل عملنا هذا بالنجاح

والتوفيق فإذا أصبنا فمن الله عزوجل وإذا أخطأنا فمن أنفسنا.

فائمة المصالح

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

-القرآن الكريم برواية ورش.

المعاجم:

1. ابن منظور: لسان العرب، ضبط وتحقيق: خالد رشيد القاضي، دار الصبح

وإيديسوفت، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ-2006م، ج.10

2. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا:معجم مقاييس اللغة، تح:عبد السلام محمد

هارون، دار الفكر، ج 02، 1499هـ-1979م.

3. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة

بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، لبنان، ط8.

المصادر و المراجع

1. ابن الأثير:المثل السائر،قدمه وعلق عليه:أحمد الحوفي وبدوي طبانة،دار النهضة

،مصر،القاهرة،ج1.

2. ابن سنان الخفاجي سر: الفصاحة،تح:النبوي شعلان،دار

قباء،القاهرة،القاهرة،ط2003،1م.

3. ابو تمام: ديوان ابي تمام،ضبط و شرح،شاهين عطية،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان

ط3. 1424هـ.2003م.

4. أبو محمد عبد الله المكي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يقصر من حوادث الزمان، بيروت، لبنان، ج 03.
5. ابو هلال العسكري:كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط2 (دت).
6. أبوتمام البحتري: ديوان أبي تمام البحتري ، ضبط و شرح : شاهين عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .ط.3
7. أحمد أبو المجد:الواضح في البلاغة (البيان و المعاني و البديع)، دار جرير للنشر والتوزيع،عمان-الاردن ، ط 1 ، 1431 هـ ، 2010 مـ.
8. أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة في العاني والبيان والبديع، ضبط: يوسف الصميلي المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.
9. أحمد محمود المصري، رؤى في البلاغة العربية، دراسة تطبيقية لمباحث علم البديع دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية-مصر، ط 1 ، 2008 مـ.
10. أحمد مطلوب: البحث البلاغي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق 1982م.
11. امرئ القيس: ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت، ط3: 1438هـ- 2007م.

12. البحتري: ديوان البحتري، "المجلد الأول"، دار صادر، بيروت.
13. البدر اوي زهران: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني، دار المعارف، القاهرة، ط 03، 1984م.
14. بن عيسى باطاهر: البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحد، ط1، بنغازي، ليبيا، 2008.
15. الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة ج3.
16. جورج شكور: كتاب البيان، موجز في البيان و العروض، دار الفكر اللبناني، بيروت-لبنان، ط1، 1996 مـ.
17. حاتم صالح الضامن: نظرية النظم تاريخ وتطور الموسوعة الصغيرة، 1 ايلول 1979.
18. حامد صالح خلف الربيعي: مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، مكتبة الملك فهد الوطنية السعودية، 1416هـ-1996م.
19. حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه و تطوره إلى القرن السادس المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1981 م.

20. الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ضبط و شرح : عبد الرحمن البرقوني ، دار الفكر العربي ط 1. 1904.
21. الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمان البرقوني، دار الفكر العربي، ط1، 1904 .
22. درويش الجندي: نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم، مكتبة نهضة القاهرة مصر، 1960م.
23. الذهبي:العقد الثمين في تراجم النحويين، تح: يحي مراد، دار الحديث، القاهرة د-ط، 2004م.
24. سعد سليمان حمودة، دروس البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، د.ط 1999م.
25. السيوطي: المزهر في علوم اللغة انواعها، ج1، دط، دت.
26. السيوطي: فوات الوفيات، محمد الكتبي، ج 01، ص 297. بغية الوعاة ص 177.
27. الشريف الجرجاني: التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، (دط)، 2006م.

28. شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط09. 1965م.
29. عاطف فضل محمد: البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان- الأردن، ط01، 2011 مـ.
30. عبد العاطي غريب: البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل بروت، ط 01، 1993م.
31. عبد العزيز عتيق: علم البيان ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط.
32. عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان ، د.ط. د.ت.
33. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، قرأه وعلّق عليه: محمود محمدّ شاکر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 05، 2004م.
34. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: أبو فهر محمود محمد شاکر، دار المدني، جدة.
35. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز، تح محمد رضوان الداية و فايز الداية دار الفكر، دمشق، سوريا.

36. عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب ومطبعتها، ج 01.
37. عبد المتعالي صعيدي: البلاغة العالية، علم المعاني، تح: عبد القادر حسين، ط02 ، 1991 مـ.
38. فضل حسن عباس : البلاغة فنونها و أفنانها ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن، ط 2 ، 1409 هـ -1989 م.
39. فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط 04، 1417هـ-1997م.
40. القزويني:الإيضاح في علوم البلاغة، شرح و تعليق :محمد عبد المنعم خفاجي منشورات دار الكتاب اللبناني،بيروت .ط5. 1980 م.
41. القفطي : أنباه الرواة على أنباء النحاة"، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط 01، 1406هـ -1986م، ج 02.
42. المتنبي:ديوان المتنبي ، دار صادر،بيروت، لبنان، ط . 2، 2008 م.
43. محمد أبو شوارب،أحمد محمود المصري،المدخل لدراسة البلاغة العربية، دار الوفاء للطباعة و النشر،الاسكندرية-مصر،ط1، 2007 مـ.

44. محمد التونجي، الجامع في علوم البلاغة، دار العزة والكرامة للكتاب، وهران
الجزائر، ط1، 1433هـ-2012م.
45. مصطفى ناصف: نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس.
46. وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية
عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 01، 1403هـ-
1983م.
47. يحيى بن حمزة العلوي: الطراز، دار الكتب الحذينة، مصر، ج1.
48. يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة، عمان، ط 01
1427هـ-2007م.

ليس الموضوع

فهرس الموضوعات

فهرس

مقدمة.....ب

مدخل.....5

الفصل الأول: مفاهيم أساسية في الفصاحة والبلاغة

أولا : الفصاحة.....10

أ- لغة.....10

ب - اصطلاحا.....11

ج - أنواع الفصاحة.....21

ثانيا- البلاغة.....32

أ- لغة.....32

ب- اصطلاحا.....32

ج - علوم البلاغة.....35

الفصل الثاني: الفصاحة والبلاغة عند عبد القاهر الجرجاني

أولا: عبد القاهر الجرجاني.....39

أ- ترجمة حياته.....39

ب - ثقافته وعلمه.....40

ج - مؤلفاته وآثاره.....42

ثانيا: كتابه دلائل الإعجاز.....54

أ- سبب التسمية.....54

ب- السبب في تأليفه والهدف منه.....55

ج- مباحثه.....59

د- منهجيته.....60

ثالثا: الفصاحة والبلاغة كما يراها عبد القاهر الجرجاني.....62

الخاتمة.....73

76.....	قائمة المصادر و المراجع
65.....	فهرس الموضوعات